من الأدب الساخر

290

أنا لا أكتب ولكني أتأمل

http://www.maktbtna2211.com/

يوسف معاطي

Ahmed Mady

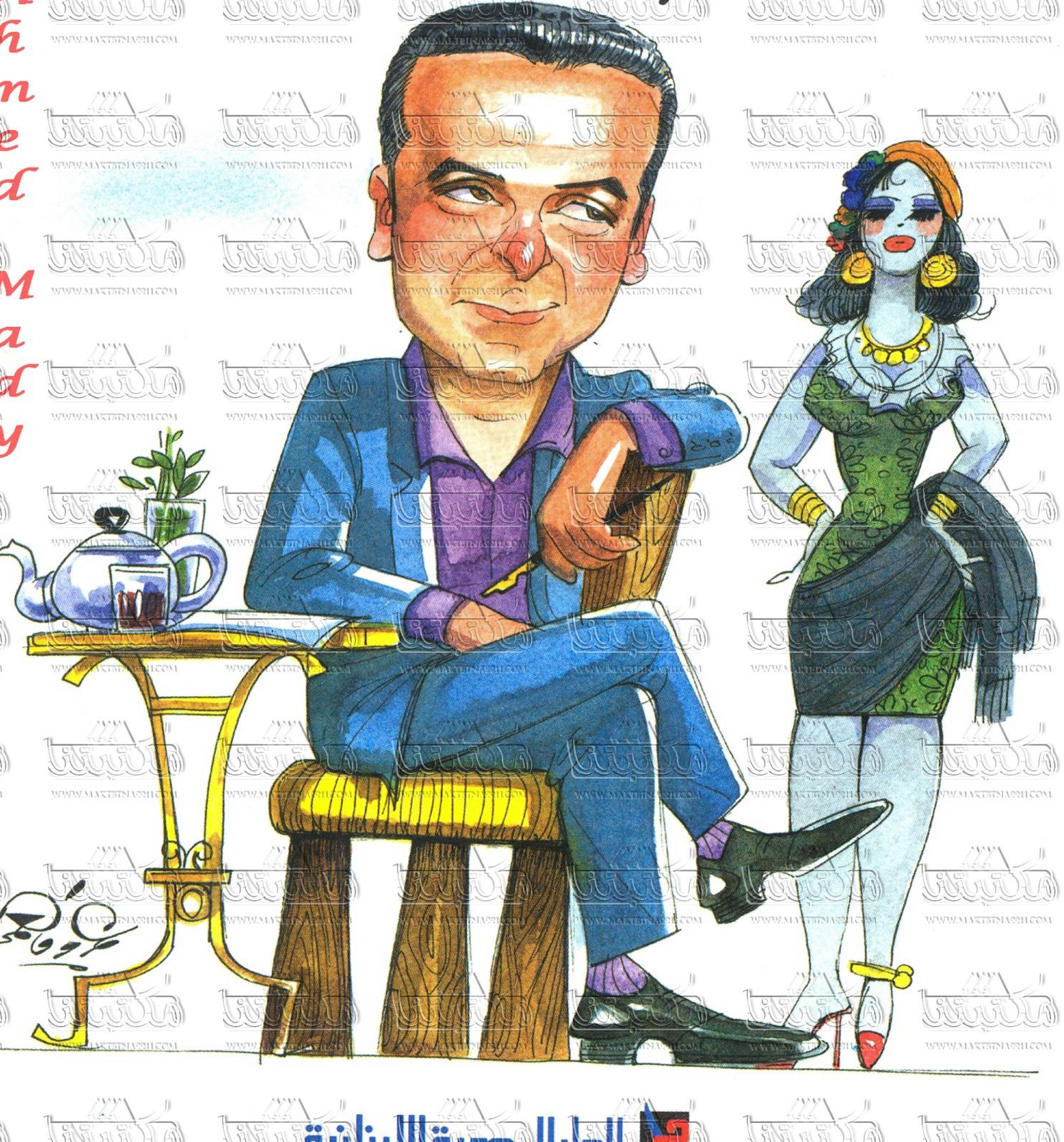

الدار المصرية اللبنانية

Thurs.
8/11/2012
RIYADH

أنا لا أكتب ولكني أتأمل

هذا الكتاب يحاول الخروج، على نمط الكتابة الساخرة المعتاد، ليدخل معك مباشرة فى " وصلة " بوح ودردشة حول الواقع المصرى، وعن موضوعات تعرفها وتحاول تكوين رأى حولها، يوسف معاطى هنا يردد معك، ويصحح لك بعض الوقائع، من خلال عكس زاوية النظر لترى مشكلاتك بطريقة أخرى، منحتها السخرية المرة والواقعية نكهة فانتازية، فتضحك منها وعليها، بعد أن تكون قد عرفت أصلها وفصلها وكيفية حلِّها.

المؤلف يضحك معك ولايضحك عليك.. لأنه يتخذّ سمت الصديق، لا الموجه، لذا ستصدقه عندما يسخر معك، من الواقع الاجتماعى والسياسى للشارع المصرى.

* الأستاذ يوسف معاطى كاتب ساخر يعرفه قراء الصحف والمجلات.. ويستمتع بأعماله الكوميدية مشاهدو التليفزيون ورواد السينما والمسرح.
* وقد أصدرنا له من قبل مجموعة من كتبه فى الأدب الساخر، أشهرها: الفن وأهله.. عفاريت.. صايع بالوراثة.. وهى كتب متميزة حازت إقبالاً من القراء فى مصر والبلاد العربية.
* من أشهر مسرحياته الكوميدية: حب فى التخشيبة.. الجميلة والوحشين.. بوبى جارد .. بودى جارد .. بهلول فى استامبول .. لألأ بلاش كده .. وهى مسرحيات ناجحة قام ببطولتها كبار نجوم الكوميديا.
* كما كتب العديد من قصص وسيناريوهات الأفلام السينمائية الكوميدية أشهرها: التجربة الدانمركية.. عريس من جهة أمنية.. السفارة فى العمارة.. الواد محروس بتاع الوزير.. ياتحب ياتقب.. حانحب ونقب.
* كما ألف عددًا من المسلسلات الناجحة التى كان لها أثر كبير داخل المجتمع العربى مثل: عباس الأبيض فى اليوم الأسود.. سكة الهلالى..

الدار المصرية اللبنانية

6222006311117

نصوص وقراءات

غسان كنفاني

أرض البرتقال الحزين

تقديم: عمر حفيظ

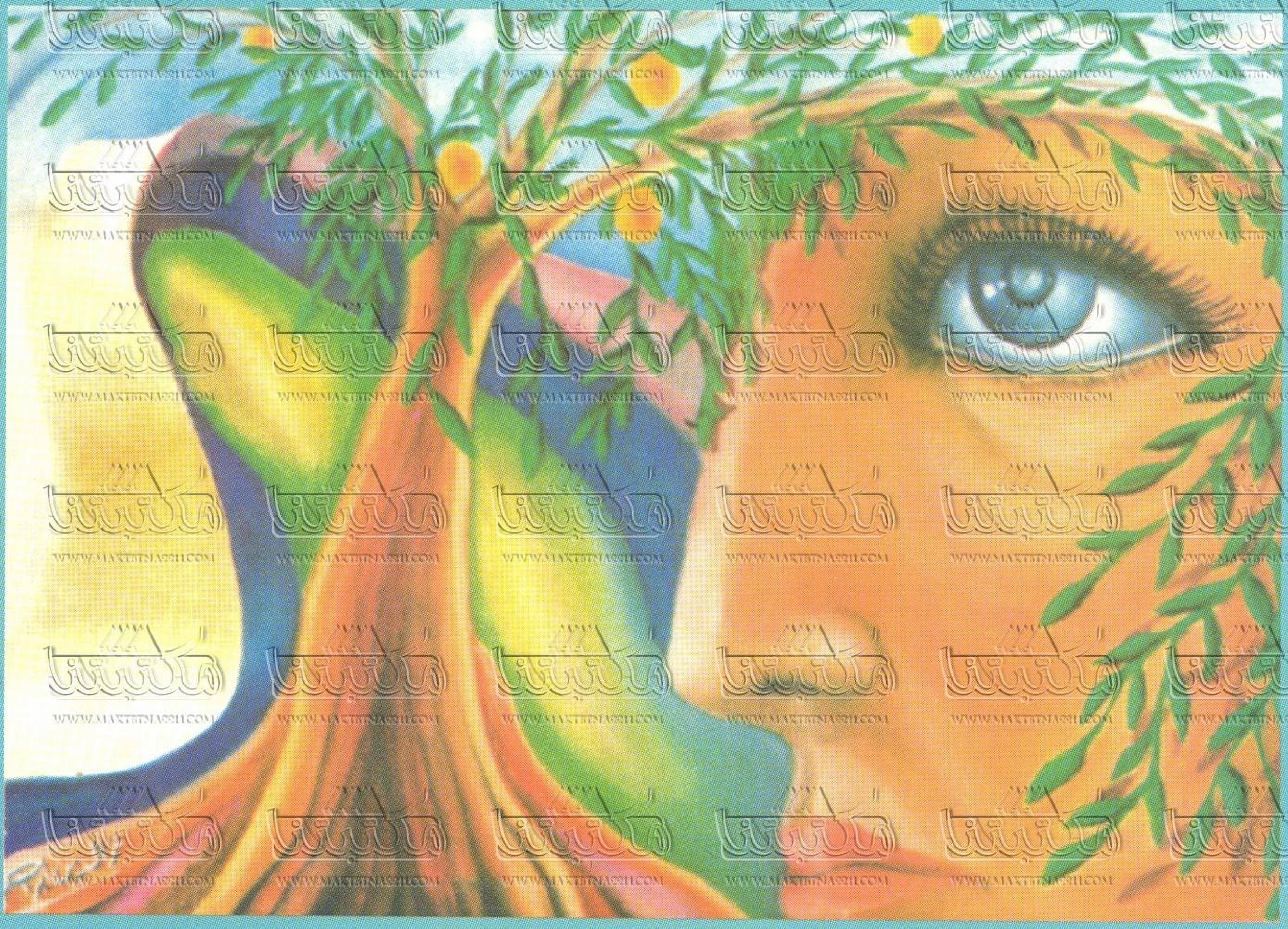

قصص

حامد للنشر والتوزيع

كتابنا القادم

من الأدب الساخر

أنا لا أكتب ولكنى أتأمل

يوسف معاطى

تأسست سنة ١٩٦٨
طبع نشر توزيع
المكتبة القومية الحديثة
طنطا ـ ٦ شارع القاضى
المكتبة القومية الحديثة
مصطفى إسماعيل
ت: ٠٦٩-٣٣٤٩٠٦٩ / ٠١٠٧٤٧٠٠٦٠ / ٠١٢٢٣٥٩٨٩٤٧ / ٠١١٦٩٢٧٢٢٧٠
E-Mail:Elkawmia_68@hotmail.com

الدار المصرية اللبنانية

مكتبتنا WWW.MAKTBTNA2211.COM

بسم الله الرحمن الرحيم

أهداء

إلى هذا الكائن النحيف المسخوط المفترى الذى صار هو قدرى، بمزاجى وغصبًا عنى، لا أنكر أنه الذى فتح بيتى، وأننى آكل وأشرب وأعيش من خيره، ولا أنكر أنه الذى عذبنى، وجاب لى السكر والضغط والعصبى، وأدخلنى المحاكم وأقسام البوليس.

التقيت به وعمرى أربع سنوات، أمسكته ببراءة، بل بسذاجة، وأخذت ألهو معه وبه على الجدران، ولم أكن أتصور أنه لعنة قد أصابتنى، ولن أستطيع التخلص منها بقية عمرى، قال عنه صلاح جاهين:

كأنه واد مقروض.. ومتجادع

مبرى قوى.. ومسنون

تقولش ح يخطط نظام الكون؟!!

إليه.. إلى قلمى.. مضطرًا.. مجبرًا... أهدى كتابى.

صوت الشعب

هل أنا صوت الشعب؟! هل أنا ضمير الأمة؟! هل أنا لسان الكادحين والمهمشين؟! ما لكم تبتسمون هكذا، كأننى ألقى نكتة ولا حاجة!! لا أنا لم أجن بعد، كنت على شفا حفرة من الجنون، والحمد لله نجوت منها.

كان جالسًا معى فى المقهى كالعادة، فقد صارت هذه هى فسحته اليومية، يكلِّم المقهى، يعرف أننى وصلت، فى ظرف دقيقة واحدة يكون أمامى مثل العفريت. ينحنى باحترام شديد حينما يسلم عليا، رغم توثق علاقتنا الآن، ولكنه لا يشيل التكليف بيننا أبدًا. يطلب شاى بالحليب وشيشه معسل، ثم يهتف بى: بالأمس، لم أنم ألا تلاحظ احمرار عينى وشحوب وجهى؟ هل تعرف ما الذى لا ينيمنى؟ أنت!!

كنت أتصفح كتابًا لك واستوقفنى مقال كتبته أنت، ولم أتمالك نفسى، أخذت أصرخ، أصرخ وحدى ياااه.. يا جو ـ إيه اللى أنت قايله

ده؟!

حتى الجماعة عندى فى البيت قعدوا يخبطوا عليَّا.. خافوا أحسن أكون اتجننت (يضحك) آه واللهى، أنا مش باجاملك، إنت فعلاً يا جو، صوت الشعب ده، أنت باللى بتكتبه ده ضمير الأمة، ربنا يخليك لمصر، ثم هتف للجرسون، هات لى قهوة زيادة وغير الحجر ده، وأسعدنى بحق كلام صديقى، أسعدنى بدرجة لا تتخيلونها، ولا تنكروا حضراتكم إن كلامًا مثل هذا يسعدكم أيضًا، ولكنى رددت عليه طبعًا بطريقة فيها إنكار (مفتعل) للذات وقلت له: أدينا بنحاول يا عم، إنت بس اللى إحساسك عالى، أنا عمرى ما عجبنى اللى باكتبه خالص، قال وهو يكح لأنه تكلم أثناء سحبه لنفس المعسل، كح.. كح .. حرام عليك يا عم، كل اللى أنت عامله فى الناس ده ومش عاجبك؟!

وحياة ولادى يا شيخ الناس كلها بتدعيلك، ثم نادى على الجرسون وقال له: القهوة دى سادة؟! فنظر الجرسون إلى الفنجان الذى كان صديقى قد شربه بالكامل، وقال: لأ.. كانت زيادة يا باشا، فضحك صديقى وقال لى.. شوف يا أخى من اندماجى معاك، ما حسيتش بالقهوة إذا كانت سادة ولا زيادة!! إنت أصلك مش عارف مقالك عمل فيا إيه؟ ثم قال للجرسون، طيب شيل الفنجان ده والحقنى بواحدة زيادة قوى، وغير لى الحجر ده، ثم التفت نحوى

وقال: أنت لا يمكن تتقارن بكاتب عربى أبدًا، أنت على قد انغماسك فى مشاكل البلد، إنما اللى بتقدمه أدب رفيع أدب عالمى، قلت بتواضع زائف لا يا سيدى عالمى إيه بس، ده احنا على قد حالنا، كانت ردودى المتواضعه أشبه ببنزين ألقيه فوق النار، فيجعله يهيج ويثور ويبدع أكثر فى مدحى والإطراء على مواهبى، إلى أن قال لى فجأة، حضرتك طبعًا قريت شكسبير، أومأت برأسى مبتسمًا قال فى غيظ: نفسى أعرف أيه السمعة اللى واخدها دى!! وحياة ولادى يا شيخ أنت ما تقل عنه فى حاجة، إن ماكنتش تزيد، هيه أصنام بنعملها وبعدين نعبدها بعد كده، قلت له وقد أثر فيا مديحه فعلاً.

هوه شكسبير مباشر شويه فعلاً، وتحس بملل برضه لما تقراه إنما هو كاتب مش بطال .. قال مغتاظًا: مش بطال إزاى يا أستاذ ما تبآش مجامل قوى كده، ده أنا ما طقتش أقرا له سطرين على بعض.

ثم هتف مناديًا الجرسون وقال له: أنا جعان ح تأكلونا إيه؟ تاكل إيه يا جو؟ قلت له وقد أشبعنى مديحه تمامًا كأنى واكل دكر بط: لأ.. شوف أنت حتاكل إيه؟ طلب مكرونة فرن، وفرخة مشوية وسلطات ونص كيلو كباب مشكل، وحينما اشتم رائحة الكبدة منبعثة من المطبخ طلب طبقا كماله، وظل صديقى معى طوال اليوم، لم أكتب شيئًا.. لم آكل شيئًا.. ولم أشرب شيئًا. وكان الحساب ٢٧٠ جنيهًا دفعتها عن طيب خاطر، ولكنى عدت إلى بيتى سعيدًا ومنتشيًا بحق، كان يومًا

جميلاً وصلنا فيه إلى نتائج أدبيه رائعة، وهى أن تولستوى كان رديئًا للغاية فى أسلوبه، وتشيكوف لم يكن عميقًا بما يكفى أما دوستويفسكى فكان أكذوبة، أكذوبة.

ومرت أيام كثيرة وشهور، وهذا يحدث يوميًا بالملل، ولم أكن لأضجر أبدًا، لو ظللت التقى به لآخر يوم فى عمرى، ولكن، صديقى مكلَّف جدًّا، وليس عندى اعتراض على ذلك، ولكنى أيضًا يجب أن اكتب، حتى أكسب فلوسًا أصرفها عليه فى المقهى. بالأمس قال وهو فى قمة الحماسة، طيب وحياة ولادى يا شيخ أنت بتضحكنى أكثر مليون مرة من برنارد شو، ومارك توين وحتى من موليير هذا الذى طلعوا به السما فى فرنسا.

قلت له على استحياء، هوه موليير فعلاً تقيل شويه وبرنارد شو تحس إنه بيستظرف، أنا لا أقول ذلك عن الزملاء، حاشا لله، أنا أحترمهم وأجلهم، إنما ده رأى الناس، المشكلة الآن إن فلوسى قد نفذت وهو لا يستطيع أن يمدح الإ وهو يأكل ويشرب. أنا لا أعرف ماذا أفعل بالضبط؟ المفروض إننا سنتحدث اليوم عن ملامح مدرستى فى الكتابة الساخرة، وأثر مقالاتى الساخرة على المجتمع الأمريكى، فهل أترك فرصة رائعة كهذه، أعزائى محدش معاه ٢٠٠ جنيه سلف؟!! وقررت أن أهرب من مواجهته.

وظلت أتفاداه ثلاثة أسابيع، إلى أن نشرت مقالاً سياسيًا أثار

ضجة، وكان اسمه صوت الشعب، وقبضنا راتبنا والحمد لله رُزِقَتْ وجريت عليه فى المقهى أريد أن أعرف رأيه، كان جالسًا مع أحد المؤلفين، وفى يده مقالى الأخير وسمعته يقول له.. هو فاكر نفسه مصلح اجتماعى؟ ياعم ده أكذوبة، فلاش طلع كده نور وانطفى علطول، جواه فاضى خالص، ما عندوش يا عم الحاج، صوت الشعب إيه؟ يروح يتنيل على عين أهله، ثم نظر إلى المؤلف: وقال له: بأه ده صوت الشعب، أمال أنت إيه يا أستاذنا دى هزلت!! ثم نادى على الجرسون وقال له، شاى بحليب تانى وغير الحجر..

أعزائى.. إن هؤلاء الذين يمدحوننا مكلِّفون جدًا، أما الذين يشتموننا فهم أرخص بكثير، وأحن.

أنتم طبعًا تدركون ذلك جيدًا، ولكن آه... لو أدركت حكومتنا ذلك.

فقرى.. فقرى.. فقرى

كحيوان لم يروه من قبل، كانوا جميعًا يحملقون فى وجهى مبتسمين فى سعادة، وكان صديقى الذى أوقعنى فى هذه الورطة وأتى بى إليهم يتكلم فى حماس وانتصار، وكأنه الصياد البارع الذى انقض على الفريسة التى هى أنا، وأتى بها من قرونها وألقى بها أمامهم وقال: آه.. أهوه.. يوسف معاطى. يا جماعة.. أدينى جيبتهولكوا أهو ح يموتكوا من الضحك.. ده..ده فقرى، آخر مسخرة.. أوعوا تفتكروا إنه هادى كده.. ده ميه من تحت تبن.. دلوقت يسخن.. واستعد الجميع وتأهبوا.. وأنا أكاد أموت من الغيظ، وأريد أن أخبطه بأى حاجة على دماغه حتى يفقد النطق، أنا إيه اللى جابنى معاه بس!! من منا لا يحب أن يكون كوميديًا؟ لكن المشكلة إذا قدمك أحدهم للآخرين على أنك كوميدى جدًّا وساخر جدًّا، وهكذا صرت فجأة مثل المطربين حينما يقال لهم: غنوا لنا حاجة فينكسفون ويترددون ويقول بعضهم: أصل عندى برد، أو صوتى تعبان شوية، لكن ما الحيلة فى الكوميديا، ما هو عذرى؟! لا يوجد فى رأسى أى إفيه، ولا نكته ولا حتى موقف دمه

خفيف أحكيه لهم، وصديقى الغبى لا يزال يقوم بعمل الدعاية الكاذبة لى بكل حماس وكأنه فى الانتخابات. ويقول:

استنوا.. استنوا بس اصبروا.. ده.. ده.. فقرى. دلوقت ح يفتح ومش ح نعرف نلمه، ثم ينظر نحوى بكل غلاسه وكأنه قال إيه.. بيسخنى ويقول: إيه يابا؟ ساكت ليه يا عم الحاج؟ اللهم اجعله خير، عامل لى فيها مؤدب لأ ما تخافش.. ها عارفينك كويس وعارفين إن لسانك متبرى منك، ما كلهم بيقرأولك، وعارفين إنك بلوه مسيحة.

أهتف لنفسى.. آه.. سأجن من هذا الحمار، كفاية أبوس إيدك، كفاية، كلما تكلمت أنت صار دمى أثقل، وهل الكوميديا تأتى هكذا؟ أدوس على زرار فتخرج منى كوميديا ليضحك لها هؤلاء الذين جمعتهم ليتفرجوا عليا، لكنه لا يزال يمارس حملته الدعائية، ويقول بكل حماس:

خللوا بالكوا.. هوه كده.. يسكت يسكت ويقوم نازل بالتقيلة، ما تقول يا عم!! أحاول أن أعصر مخى لأتذكر أى شىء مضحك فى هذه الدنيا، لكن لا شىء لا يوجد فى رأسى، أى شىء طريف حتى كل نوادر جحا اتمسحت من دماغى، ونكت برناردشو التى كنت أحفظها عن ظهر قلب، لا أثر لها، لكن لندع المخزون الثقافى جانبًا، ولنبحث فى درج آخر، مخزون الحياة المواقف التى مررنا بها ونحكيها للأصدقاء فينفجرون فى الضحك، نعم سنجد شيئًا بالتأكيد، كل السنين التى

عشتها لابد أن بها ما يضحك نعم.. ستأتى.. اعتقد أنها ستأتى، هم يريدوننى أن أضحكهم، حاضر أسهل أنواع السخرية وأضمنها أن تروى حكايات تسخر فيها من نفسك، حيث تبدو عبيطًا أو مغفلاً، يااله الناس تموت فى هذا، نعم لقد بدأت أتذكر شيئًا، لكن يقطع شرودى وبحثى المضنى صوت صديقى البشع وهو يهتف بى ضاحكًا.

والنبى يا جو.. احكيلهم حكاية الفرح بتاع بين السرايات، هاها، يخرب عقلك، دا أنت قتلتنا من الضحك.. اسمعوا دى.. أنا عارفها.. بس هو بيقولها آخر مسخرة؟! ما تقول بأه.

قلت لنفسى وأنا أكاد أنفجر من الغيظ.. أى فرح تقصده هذا يا حيوان، أنا لا أذكر أى واقعة كوميديه حدثت لى فى الأفراح، إنه يشتتنى ويفقدنى تركيزى تمامًا، اسكت بأه، اخرس خالص، ماذا كنت أقول لنفسى؟ آه أسهل أنواع السخرية وأضمنها أن تسخر من الناس، وأن تهزأهم. الناس تحب هذا.. كل منا عنده رغبة مكبوتة فى إهانة نفسه، سأسخر منهم وسأبدأ بأكثرهم احترامًا ووقارًا، وفجأة يصرخ صديقى الله يلعنه، وحياة أبوك يا جو.. قول لهم على يوم ما روحت البنزينة عشان تمون، ثم أشار نحوى، وهو مسخسخ من الضحك، د..ده فقرى.. فقرى.. وباءت كل محاولاتى الكوميدية بالفشل الذريع، وبدأت أتصبب عرقا وانتابتنى حالة من الاكتئاب الحاد،

وبطريقة عكسية مفاجئة بدأت أتذكر كل الأشياء الحزينة التى مررت بها، جدتى التى ماتت، وأبويا الذى مات، وقسط الشقة الذى لم أستطع أن أدفعه، ومهدد بالطرد، راتبى هنا فى الأهرام، فواجع ومآس ظلت تنهال على رأسى كالشلال، ولم أعرف كيف حدث هذا، انفجرت فى البكاء.. هكذا بلا أى مبرر، ونظر الجميع نحوى مندهشين، ثم.. فجأة.. انفجروا فى ضحك هيستيرى.. فقد ظنوا أن بكائى هذا إفيه أو مقلب باعمله فيهم من مقالبى الكوميدية الرائعة.

وضجت الجلسة بتصفيق حاد متواصل، وظل صديقى يضحك حتى استلقى على قفاه، وهو يقول.. والدموع تنزل من عينيه من فرط الضحك، هاها.. شفتوا.. مش قلت لكوا.. ده ابن جنيه.. فقرى.. فقرى.. فقرى.

بلد رائع.. رائع

لا أعلم لماذا كلما زار وفد أجنبى بلادنا أو أى دوله نامية، نستقبلهم بكل تلك الحفاوة المبالغ فيها، ولابد أن تتصدر مانشيتات الصحف طبعًا أن الوفد الأجنبى انبسط جدًّا، وأشادوا بكل ما رأوه، وأنهم قالوا: هذا بلد رائع.. رائع لم نكن نتوقع ذلك، لقد ذهلنا من تطور بلادكم، وإذا سأل أحد الصحفيين أعضاء الوفد الأجنبى ما الذى أعجبكم أكثر فى بلادنا، سيرد أحدهم مازحًا: الطعمية طبعًا، وستضج الصالة كلها بالضحك والتصفيق، ولابد أن يقف ليتحدث عن العلاقات التاريخية بين البلدين، ثم بعد ذلك تقام الولائم للوفد الأجنبى، هل شاهدتم وفدًا أجنبيًا ورأيتم أعضاءه وهم يأكلون؟! مناشير كأنهم ما بياكلوش فى بلادهم دول، وبعد الأكل سنأخذهم طبعًا إلى الأهـرامات، وبالليل فى خان الخليلى، ثم فاصل من الرقص الشرقى، وهم دائمًا منبهرون مبتسمون، ويومئون برؤوسهم علطول

wonderful- great- marvillous ثم يعلنون فى النهاية فى العشاء الأخير وأطباق الفتة بالخل والثوم أمامهم يلتهمونها التهامًا، إن الديموقراطية قد قطعت شوطًا لا بأس به فى بلادنا، وأنهم لمسوا ذلك بأنفسهم، وقد قال رئيس الوفد الأجنبى، وهو يدق ماسورة فى الطبق لينزل منها البهريز فوق الرز المعمر، إن مصر من أكثر الدول المحبة للسلام فى المنطقة، وكان هذا من شأنه فعلاً أن يحسن صورة مصر فى كل المحافل الدولية، حتى إن رئيس الوفد الإيطالى السنيور فيليبو التقى برئيس الوفد الفرنسى المسيو لويس فى جينيف فى مؤتمر يبحث فى أحوال بلادنا إحنا هنا فى مصر، وقال له: انتوا لسه ما روحتوش أيجيبتو يا مسيو؟ فقال المسيو نو سنيورى فقال له السنيور: لو عاوز تاكل كباب صح عليك وعلى كبابجى السيدة، واختلت زوجة السنيور بزوجة المسيو وقالت لها: أنا كنت مع فيليبو فى مصر قعدنا عشر أيام تحفة، لما تروحى مع المسيو، تسألى على واخد فى الخوسين، اسمه الأخد الجديد، أخلى كوارى وأكاوى فى الدنيا كلها.

واستقبالنا البديع هذا للخواجات له جذور قديمة من أيام الاستعمار، فكان المصرى دائمًا ما يتعامل مع الخواجات بالحداقة المصرية، كلمتين انجليزى مكسرين على كلمتين عربى معووجين، وتشترى كلب يا خواجة، وجيف أت بكشيش، وهكذا يقوم المصرى

بتكييس الخواجة وتعميمه مما جعل الخواجة يغير خطته الاستعمارية ويحلف ميت يمين ما هو معتب البلد دى تانى، يعنى مثلاً الخواجة مينو اللى جاى مع الحملة الفرنسة عشان يحتلنا، بقدرة قادر يسلم ويتجوز من عندنا، ويسمى نفسه عبد الله، ويسيب الحملة الفرنسية خالص ويقعد على ناصية الشارع يشرب معسل.

وقد جاء إلينا تونى بلير وزوجته، لكى يقضوا الأجازة عندنا فى شرم الشيخ، وضرب شورت ونزل الميه وشرب شيشه فى خليج نعمة، وبرغم إنه انجليزى ما مشهاش انجليزى، وقضاها براشوت سفلأه يعنى أكل وشرب وانبسط وطبعًا فى الآخر طلع قال البق الحمضان اللى إحنا عاوزينه، ده بلد رائع.. رائع، وتصدرت تصريحاته مانشيتات الصحف كالعادة.

وحينما جاء الأخ بلاتر إلى مصر عشان موضوع كأس العالم، وشاف عز ماشافوش حد فى أهله، بوس وأحضان وزغاريت وعزومات ورقص وأغانى، والناس اللى جايه معاه اتروقت وإحنا فى الواجب بأه مفيش حد زينا، وقبل ما يمشى وقف بلاتر.. وقال البق إياه، ده بلد رائع.. رائع، ومانشيت صفحة أولى طبعًا يا معلم، ومشى من هنا وراح فاقعنا الصفر المتين..

ويبدو أن الوفود الأجنبية من فرط امتنانها وإعجابها بطريقتنا

المصرية فى استقبال الوفود قالوا لبعض، فعلاً لا يوجد بلد فى العالم يحتفى بالوفود قدر احتفالنا بها، وعليه قررت دول أوروبا وأمريكا تعميم التجربة المصرية الرائدة فى استقبال الوفود، وسترسل لنا تباعًا وفودًا يومية لدراسة كيفية استقبال المصريين لوفودهم، وإنى اقترح من هنا أن ننشىء وزاره لاستقبال الوفود الأجنبية فى كل المجالات بميزانية مفتوحة، واقتراح أن نسميها، وزارة "نورت مصر" وفى مصر بأه "مش ح تقدر تغمض عنيك"!

وآه يا كوفى من آخر المشوار

كنت كثيرًا ما أشعر بسعادة غامرة لأننى خلقت إنسانًا، أفكر وأحلم وأغنى وأكتب وأقرأ، فلو كنت لا سمح الله "حمارًا"، بالتأكيد لم أكن سأشعر بهذا الزهو الآدمى، والناس كانت ستركبنى ويرفسوننى بأرجلهم، الحمد لله أننى لست منتميًا إلى دولة الحمير، التى ينعتونها بالغباء، وبأنها أنكر الأصوات، ولا تجد لها نصيرًا ولا مدافعًا، أما أنا.. فهيئات كثيرة محترمة تهتم بى، وتدافع عنى، خذ عندك من أول هيئة الأمم المنتحرة، إلى مجلس القمل، إلى منظمة حروق الإنسان، وكنت كلما شاهدت على الشاشة أخانا الفاضل كوفى أنان، شدنى إليه بسماره الذى يشبه سمارى، وبشعره الأبيض الذى يشبه شعرى، وعيونه السود التى تشبه عيونى، كنت أحس دائمًا أن هذا الرجل ح يطلع فى الآخر يا خالى يا جوز خالتى، ولابد أنه يحمل همومى فوق كتفيه، وكنت أشعر بمتعة وأنا أنطق اسمه، أصل اسمه حلو بصراحة.. كوفى؟! وعنان كمان؟! يا سلام، يا محاسن الصدف، الى أن أفقت على الحقيقة المرة وهى أن كوفى عنان ليس خالى أنا ولا

عمى أنا، وإنما طلع خال كوندوليزا رايس، وجوز خالة كولين باول.. والعينة دى كلها شغالين فى البيت الأبيض أبًا عن جد.. كسفرجية.

وأونكل كوفى، حينما تسلم الوظيفة فى الأمم المتحدة، كان يعلم جيدًّا أنه رجل وظيفته أن يوقع على أوراق ليس له أى رأى فيها، وأنها وظيفة طبق الأصل من وظيفة محجوب عبد الدايم فى فيلم "القاهرة ٣٠" وياقوت أفندى فى مسرحية السكرتير الفنى، وكان أونكل كوفى يعلم أيضًا، أن اللى ما يعملهمش وهو فى الخدمة لا يمكن يعملهم أبدًا، وأثناء الحصار على العراق، وبرنامج النفط مقابل الغذاء، وجد كوفى لقمة عيش حلوة لابنه فى هذا اليغمة، وروح يا بنى كل عيش، هيه جات عليك أنت، وكوفى عنان يقبض راتبًا كبيرًا بالدولار من الأمم المتحدة، تدفعه له الدول الأعضاء فى هيئة الأمم المتحدة، والدولة تدفع لكوفى عنان، من أموال الشعب طبعًا.

وبما أننى إنسان كما قلت فى بداية المقال، ولست حمارًا، فيخصم منى ضرائب ومن ضرائبى هذه يدفعون لكوفى أنان، ربما تصل حصتى التى أدفعها أنا فقط إلى حوالى جنيه وربع. معلش، أنا عاوزهم يا جماعة، مفيهاش إحراج أصل الحاجات دى ما تزعلش يا كوفى يا خويا، وما دامت قرارات الأمم المتحدة ومجلس الأمن كلها فى الكلتشة وفنجرة بق، إحنا أولى بالفلوس دى مش ح تبأوا انتوا والحكومة، ولقد كنت غبيًا طوال حياتى حينما تصورت أننى إنسان

ولست حمارًا، ما دام الكل يركبوننى، ويرفسوننى بأرجلهم ويعتقدون أننى أغبى المخلوقات، وما دام صوتنا فى الأمم المتحدة هو أنكر الأصوات.. ما دمتم لا تسمعون سوى صوت الفيتو، وأنا بصراحة يا كوفى بأيت باتشاءم منكوا وأول ما أشوف عربية من بتوعكوا مكتوب عليها U.N فى أى حتة أقول خلاص ح تولع، إذا كنتوا قبلتوا الضرب على نفسكوا يا كوفى ومات أربعة منكوا بصاروخ إسرائيلى، ومازعلتوش وطلعتوا تدافعون عنها، وقلتوا، ما تقصدش.. يا عم أبوس إيدك، حِلّ عنِّى، وابعت الجنيه وربع، ومش عاوز من وشكوا أى حاجة، يا عم خلاص.. اعتبرنى فنزويلى، يا سيدى أنا إيرانى، أنا كورى، ما تخنقنيش يا عم كوفى، محبش حد يمسكنى وأنا متعصب، أمم إيه دى اللى متحدة يا عم؟! متحدة علينا!! ما أنا مش عاوز أغلط بأه فى الكلام، هات يا با الاثنين جنيه اللى عليك، وغلطة ثانية وأديلك خمسة وسبعين قرش.

أنا كنت باقول إيه؟!

لم أكن طفلاً مشاغبًا ولا عنيفًا ولا بليدًا، وإنما كانت خطيئتى الوحيدة، هى أننى دائمًا ما كنت أسرح أثناء الدرس، وأبص من الشباك، أتأمل الحياة خارج المدرسة، أرقب بحسد هؤلاء الأحرار الذين يتجولون فى الشارع ومنهم أطفال مثلى لا يزيدون على فى شىء إلا أن ربنا سبحانه وتعالى أراد لهم ألاّ يتعلموا فى المدارس، وما يترموش الرمية السودة اللى أنا مرميها فى الفصل دى، كان أمام المدرسة!! "بتاع كاوتش" وكان صبيه يمسك بالإطارات المطاطية، ويدحرجها فى سعادة قبل أن يلقى بها فى حوض الماء، وأنا معتقل هنا فى الفصل، وأفيق مذعورًا على صرخة هائلة من الأستاذ، قوم أقف!! أفز من مكانى مرعوبًا كمن لدغته عقربة، يسألنى الأستاذ ذلك السؤال الذى كاد أن يغير مسار حياتى كلها من شدة ما أكرهه، أنا كنت بقول إيه؟! آه لماذا يتصور الأساتذة أنهم يشرحون لبغبغانات

وأنه ما إن يسألنى أنا كنت باقول إيه؟ حتى أكرر ما قاله بالحرف، كيف؟! ماذا أفعل يا ربى فى هذه الورطة؟! لا حل سوى البكاء، فالبكاء قبل الضرب له فوائد عديدة، أولا يجهز ضهر الأيد لتحمل لسعات الجلدة التى ينهال بها على أصابعى. ثانيًا ربما يرق قلب الأستاذ والجلدة فبدلاً من عشر ضربات ربما تصبح خمسة، ويصرخ الأستاذ، أنا مش عاوز عياط، أنا باسألك أنا كنت باقول إيه، تجاوبنى!! يرفع أحد الأوغاد من زملائى فى الفصل يده، ويقول فى انتصار وشماته، أقول أنا يا أستاذ!! انظر نحوه بغيظ، هى ناقصاك أنت كمان، لا يمكن أن أنسى اسم هذا الولد الشرير كان اسمه "أيسر" كان أشطر واحد فى الفصل، وكانت عيناه تلمعان بذكاء غريب، ورأيت فى عينيه ابتسامة شريرة، حينما قال لى المدرس.. اطلع أقف على السبورة وارفع إيديك لفوق، وقفت رافعًا يدى كأسير حرب، وأنا أشعر بقمة الذل والمهانة، ورغم ذلك كله، تحركت عيناى برضه لتخرج من الشباك، وتتأمل الصبى الذى يعمل فى محل الكاوتش منطلقًا سعيدًا، وسمعت الأسطى وهو يقول له: اعمل لك همة يا أسطى بلبل، ورأيت زبونًا يعطى الولد ورقة بربع جنيه، أخذها وقبلها ووضعها فى جيبه بسعادة، وحسدته من كل قلبى، حسدت بلبل، لماذا يا ربى كتبت عليا هذا العذاب؟! هذه الجملة الأخيرة لم أكن أنا الذى قلتها، وإنما الذى قالها بلبل دون أن أسمعه، حينما كان الأسطى يصرخ فيه هو الآخر.. أنا

كنت بقول إيه ياد؟! وانهال عليه بالجلدة، كان بلبل ينظر نحو شباك المدرسة فى أسى، وهو لا يدرى لماذا حرم هو بالذات من أن يدخل المدرسة، لم يكن بلبل يدرى أننى واقف "متذنب" رافعًا يدى فى ذل، وسمعت أيسر وهو يقول للأستاذ، إلحق يا أستاذ، ده نزل إيده، ونظر نحوى الأستاذ نظرة مرعبة، ارتجفت لها، ورفعت ذراعى عن آخرها، وأردف أيسر وشايته الحقيرة وقال، ولسه بيبص من الشباك يا أستاذ!!

هذا ما حدث منذ أكثر من ثلاثين عامًا، ولنقطع القصة هنا، ونعتبر كل ما سبق، فلاش باك شرعى مسموح به فى السينما وفى المقالات أيضًا، لنقفز بسرعة إلى مشهد معاصر، حينما دخل إلى مكتبى رجل يبدو عليه الفقر الشديد، والظروف الصعبة، طالبًا مقابلتى، أهلاً وسهلاً، يسألنى إنت مش فاكرنى!! فأجيب كالعادة، معلش أنت عارف الذاكرة بأه، فيقول لى، أنا أيسر، زميلك فى الفصل فى ابتدائى، أتأمله، فعلاً هو أيسر، ولكن عيناه لا تلمعان، والابتسامة الشريرة، صارت ابتسامة مرة، جاء يطلب منى أن أساعده فى إيجاد وظيفة، ودار بيننا حوار طويل، ثم فجأة سألته: أنا كنت باقول إيه؟!.. فإذا به يكرر ما قلته بالحرف الواحد، وعرفت لماذا فشل أيسر فى حياته لأنه لم يجرؤ أبدًا على أن يبص من الشباك..

الفانوس السحرى

كل العفاريت التى طلعت من المصابيح فى أفلامنا، سواء لإسماعيل ياسين أو لفريد الأطرش أتت لأسباب مادية، البطل فقير وغلبان، و"عفركوش" هو الذى سينفخ له نفخة، فتمطر الحجرة بالآف الجنيهات على بطلنا، الذى يتحول فى غمضة عين إلى واحد مش عارف يودى الفلوس فين، ولقد فكرت فى أن أعيد كتابه فيلم الفانوس السحرى فى القرن الحادى والعشرين، ولكننى وجدت أن عفركوش ليس مناسبًا للعصر، كما أنه لن يستطيع أن يجلب كل هذه الملايين لبطلنا فى غمضة عين، فالعفاريت حالتها صارت تصعب على الكافر فى بلدنا، ولذا فأنا سأعمل تغييرًا دراميًا طفيفًا حينما يدعك بطلنا المصباح ويطلع له العفريت، فيقول له البطل: عاوز كام مليار جنيه دلوقت حالاً، هنا سيقول له العفريت: اشتغل فى الحديد!!! واتفرج على العز اللى ح تشوفه، بس بشرط "ياموستافا" إنك تصرف

كل الفلوس دى فى ثلاث سنين بس قوولت إيه؟ هنا يقول البطل: وأصرف أبوهم كمان هى شغلانه، افتح لى كام قناة فضائية ح يخلصوا على اللى ورايا واللى قدامى فى ثلاث أشهر مش ثلاث سنين، طيب وأنت كعفريت دورك إيه فى القصة دى يا عفركوش، أنا مش بادعك المصباح عشان يطلع لى خبير اقتصادى، هنا يضحك العفريت ضحكته الشهيرة.. (أنا مش عارف العفاريت بيضحكوا بالطريقة دى ليه بس؟!) ويقول لى: جمد قلبك وفوت فى الحديد، وأنا اللى ح عفرتلك الأسعار يا موستافا، هنا ينظر بطلنا نحو عفريته بيأس وإحباط، ويقول له: طيب يا عفركوش شوف لنا أى لقمة نأكلها زى اللى جيبتهم لاسماعيل ياسين فى الفيلم، فيرد عفركوش: حاضر يا موستافا تأكل إيه!! (لاحظوا أن اسمى ليس مصطفى ومع ذلك فهو ينادينى بموستافا دى عمال على بطال.. ما علينا) أنا عاوز فرخة محمرة يا عفركوش، هنا يبكى عفركوش ويقول: وانفلونزا الفراخ يا موستافا، إنت مش خايف على نفسك؟ أقول له بنفاد صبر: طيب حته لحمة يا عفركوش فيرد عفركوش فى أسى: وجنون البقر يا موستافا!! طيب أعمل فيه إيه العفريت ده بأه!! طيب اسمع يا عفركوش أنا عاوز طبق ملوخية أرديحى، ورغيفين عيش، هنا جلس عفركوش فى إرهاق على الكرسى أمامى، وقال لى: إنت طلباتك كلها صعبة كده يا موستافا، لسه ح أروح اليابان عشان أجيب لك ملوخية: قلت له: وإيه اللى يوديك اليابان، هوه أنا طالب ملوخية سونيك، قال

عفركوش، إنت مش دريان بالدنيا يا موستافا مش اليابان خلاص سجلت الملوخية باسمها، وبأت من الزراعات اليابانى يعنى قبل ما تزرعوها عندكوا لازم تاخدوا إذن من اليابان يا موستافا، هنا صرخت فيه: الملوخية بأت يابانية.. إزاى؟ دى عندنا من أيام الحاكم بأمر الله، يعنى من أيام الدولة الفاطمية، قال عفركوش: ما هو الحاكم بأمر الله.. كان أصله يابانى يا موستافا، قلت له طيب هات لى رغيفين عيش، عيش حاف يا عفركوش.. حآكل عيش حاف، وبس، ما هى دى آخرتها عامل لى عفريت وطالع لى من المصباح، وواخد قر عليك من الدنيا كلها، قال عفركوش: عاوز العيش امتى يا مصطفى؟! صرخت فيه إمتى إيه أنت مش عفريت، انفخ لك نفخة ألاقى الرغيفين بأوا فى بقى. قال عفركوش، ده أنا عشان أجيب لك الرغيفين دول ح أقف ثلاث ساعات فى طابور العيش يا مصطفى، ارحمنى، جلست بجواره أتأمله، ثم رقَّ له قلبى (للعفريت) وقلت له أنت إيه اللى حصلك بس يا عفركوش، لا عارف تعمل حاجة ولا تجيب حاجة، حتى اسمى ما نتاش عارفه.. أنت عفريت نيولوك ولا إيه؟ فين العفاريت بتاع زمان، اللى كان لها شنة ورنة، العفريت اللى كان لما يقول كلمة لازم ينفذها، يا أخى دى كيتى الرقاصة لما بأت عفريتة وطلعت لإسماعيل ياسين كان ليها منظر عنك إيه الفشل اللى أنت فيه ده!!.

قال عفركوش: معلش يا موستافا..(لاحظوا أنه مش عفريت

فاشل وبس.. ده مابيسجلش كمان أنا مش لسه قايل له إنى ما اسميش مصطفى) إحنا زمان كعفاريت كنا لما بنطلع لبنى آدم، كان بيخاف مننا ويغمى عليه. دلوقت بأينا إحنا اللى بنخاف من البنى آدمين اللى بيطلعولنا.. عمومًا.. امسك الشيك ده.. آخر حاجة معايا.. روح أصرفه من أى بنك.. أنا بحبك يا موستافا عشان أنت طيب يا موستافا، وأعطانى الشيك ودخل المصباح واختفى تمامًا من أمامى.. كتر خيره.. أهو عمل اللى فى مقدرته، نظرت إلى الشيك والله المبلغ مش وحش.. ولكن.. ما هذا المكتوب فى الشيك؟!

ادفعوا لأمر موستافا!!!! أنا ماسميش مصطفى يا أهبل وكمان شاطب لأمر ابن الجنيه!!

وطى صوتك.. أنت فى مارينا

حاضر، خلاص، فلقتونى.. و.. ذهبنا إلى مارينا، ولأننى لست مارينيًا أصيلاً، كنت مضطرًا إلى التنكر فى هيئة مارينية حتى لا أكسف المدام والأولاد أمام المارينز، أعنى المارينيين، ارتديت شورت بلو بتلمتيت جنيه (والنعمة الشريفة)، على تى شيرت روز، مع شبشب ستايل ونضارة، وكاسكيته، باختصار الطقم الذى ارتديته هذا كلفنى ما يوازى بالضبط راتبى فى الأهرام عن كتابة مقالات لمدة سنة ونص، وكان الشاطىء الذى قبلنى على مضض شاطئًا خاصًا، يقف على بابه بودى جاردات يتأملون الداخلين، ودخلت المدام بكل ألاطة، وخلفها ابنتنا، والأصدقاء، وما إن جاء دورى أنا حتى وجدت يدًا تنزل أمامى، ويسألنى صاحب الذراع القوية، الباشا داخل لمين؟! يبدو أن شكلى برغم التنكر كان يبدو عليه البيئة برضه، الراجل ده عبيط ولا إيه هو مش شايف الشورت. ولم ينقذنى من الموقف إلا البودى جارد الآخر الذى كان عنده خبر بى، وقال لزميله سيب الباشا ده تبع شريف بيه، وشريف بيه صديقى الذى عزمنى هو مارينى

قديم، غارق فى مارينيته، يحب دائمًا أن يلم حوله صفوة المجتمع ويبدو أنه اعتبرنى، ولا أعرف لماذا اعتبرنى واحدًا من الصفوة؟ فدعانى إلى الشاطىء الخاص، وسمعت البودى جارد الذى منعنى من الدخول يقول لزميله مندهشًا، ده يوسف معاطى!! أنا معرفتوش، يبدو أن تنكرى الذى تصورت أنه سينفعنى هو الذى كان العقبة فى دخولى، والحقيقة، الشورت ما كانش بتلتميت جنيه كان فى حدود متين وخمسين!! قالت لى المدام وهى سعيدة بالمكان، كان بيقولك إيه البودى جارد؟ قلت لها لا بس كان عاوز يتصور معايا، إنت عارفة المعجبين ورزالتهم بأه.. نظرت نحوى بغيظ ثم قالت، طلع الفانلة بره الشورت، قلت لها، بس عشان ماركة الشورت تبان، ده أنا دافع دم قلبى فيه، جلسنا تحت الشمسية وانخرطنا بسهولة بين المارينيين، حتى لو أنك كنت معنا لم تكن تستطيع مهما أوتيت من قوة الملاحظة، أن تفرق بينى وبينهم، لا أريد أن أذكركم أن الشورت لوحده بمتين جنيه، فهذه معلومة صرتم تعرفونها جيدًا، كانت المايوهات البكينى تمر أمامنا، كأسراب الحمام واحدة تلى الأخرى فى إيقاع متناغم، وكأن جاد شويرى هو اللى قال لهم يعملوا كده، قالت زوجتنا (وهى مارينية التوجه) متأففة وهى تنظر حولها، لأ.. الشاطىء ده لم خالص، بأه بيئة قوى، حدجتها بنظرة من طرف المبروكة (عينى) إذ لا أعرف لماذا شعرت أننى المقصود بتلقيح الكلام ده، واطمأن قلبى، حينما وجدتها تنظر نحو بعضهن، وقالت لبسهم رخيص قوى، قلت لها، هو فين

لبسهم ده، أنا مش شايف حد لابس أى حاجة، قالت، ما أنا باتكلم عن المايوهات، مر بائع الفريسكا، وهتفت ابنتنا كالعادة، عاوزة فريسكا، وجاء الرجل من نفسه كده دون أن أدعوه وأعطاها للبنت كأنه بابا نويل، و.. لكن بابا الحقيقى الذى هو أنا يجب أن يدفع.. كام يا بابا؟! ثلاثين جنيه، قبل أن أهم بأن أفاصل الرجل الحرامى، زغرت لى زوجتى وهمست فى غيظ، خللى بالك، إنت فى مارينا، حاضر.. ومر بائع البطاطس، وهتفت ابنتنا، عاوزه بطاطس، وفى ثانية كان من نفسه كده يدس قرطاس البطاطس فى يد البنت.. و.. عشرة جنيه، ثم ساندوتشات سوسيس، وخمسين جنيه.. هكذا.. ولا تأكل ابنتنا سوى قضمة صغيرة من كل حاجة، ثم تنقلت بحركة مارينية أصلية وتترك كل هذا وتجرى على البحر، وأنا كان دورى أن آكل بقايا المفعوصة مش نعمة دى!! فيه ناس مش لاقية العيش الحاف، همست زوجتنا فى أذنى بحدة وطى صوتك، أنت مش قاعد ع القهوة، أنت فى مارينا،وفجأة مرت أمامنا امرأة ومعها رجل مارينى، قالت زوجتنا، دى سوزى.. صاحبتى، وما إن رأتها سوزى حتى عانقتها. وإزيك، وعامله إيه، وكله كويس، وإنجوى بأه، وموبايلات والحاجات دى، ثم قدمت لنا الرجل المارينى، الذى كان مرتديًا "شورت" نسخة طبق الأصل من شورتى أبو مية وخمسين جنيه، وقالت لنا أشرف جوزى، ولما كانت سوزى فى العام الماضى قد قدمت لنا رجلاً آخر بالصفة نفسها همست لزوجتى: هى مش كانت متجوزة واحد تانى طلع إمتى

ده، فنظرت نحوى بغيظ وقالت، وطى صوتك، إنت فى مارينا،جاءت ابنتنا تجرى من البحر وخاطبتنى بإنجليزية سليمة متأثرة بالجو المحيط بها، بابى أى ونت بى نت،يعنى عاوزه فول سودانى، وردت عليها أمها بإنجليزية أغاظتنى قليلاً: أوكيه دار لنج.. لاحظوا إنى كل ده قافل بقى، ثم فجأة مر بنا رجل مارينى ومعه امرأة رائعة، وجاء نحوى وسلم بحرارة إنت مش فاكرنى، أنا عصمت جوز سوزى، اللى قابلتك السنة اللى فاتت، أقدم لك هايدى مراتى، همست لزوجتى.. هو عصمت وسوزى بيصيفوا هما الاثنين فى مارينا، وكل واحد معاه فرده جديدة، صرخت زوجتى وقالت: وبعدين، أنا قلت إيه، وطى صوتك، إنت فى مارينا، وأخيرًا جاء الرجل بتاع البى نت إللى هوه السودانى ليأخذ حسابه، كام يا عم؟ قال: أربعين جنيه، صرخت فيه بأه ما أنا كاتم صوتى فى قلبى من الصبح، شوية سودانى قد كف البت بأربعين جنيه؟! ليه؟! كيلو السودانى لما يضربه الدم يعمل كام يا عم الحاج؟ والتف حولنا المصطافون وأنا كأنى ماسورة وانفتحت، توترت زوجتى، وأخذت تشدنى من الشورت أبو أربعين جنيه ولما فاض بها الكيل، صرخت، قائلة: فضحتنا.. اقعد بأه.. وأمسك لسانك ده.. أنت إيه.. هنا.. همست لها بحدة.. وطى صوتك.. إنت فى مارينا.. و.. عدنا.

فيش على مفيش

إذًا، عيد ميلادى هو ٢٥ أغسطس، من أول أغسطس وأنا أعيد وأزيد فى هذه الجملة، حتى لا يستعبط البعض، ويقول لى أحدكم.. معقولة!!

ما قولتش ليه؟! ده كلام برضه!!.. لقد نبهت على الجميع وأرسلت (مسدجات) للكل، لا أحد منكم عنده حجة، وفى ١٥ أغسطس أرسلت (مسدج) للجميع، تقول "باقى من الزمن عشرة أيام، اعملوا حسابكم". لن أقبل زهورًا ولا تورتات ولا علب شيكولاته، ثلاثة وأربعون عامًا مرت من حياتى، ضاعت كلها فى خجل لا معنى له، لنتصارح هذه المرة، جاءنى العام الماضى أكثر من مائة بوكيه ورد، ألقيت بها كلها فى الزبالة، ألم يكن من الأفضل أن ترسلوا لى ثمنها، مائة بوكيه يعملوا حوالى عشرة آلاف جنيه مش كانوا يغرقونى دول؟ ماذا سأفعل بزهوركم؟!! لن أعمل حفلاً هذا العام، وإنما ليأت الأصدقاء ومعهم أظرف منتفخة بالنقود ويسلموها لى،

وكل سنة وأنت طيب، وخلاص.. وضحك البعض واعتقد أنها نكتة، علام يضحك هذا الغبى؟ أنا جاد جدًّا فى كلامى، أنا عاوز فلوس صاحية مش عاوز هدايا، سأنتظركم يوم ٢٥ أغسطس بالمقهى، من صباحية ربنا، وليتوافد المهنئون ويعطونى المعلوم، سأحضر اسفنجة مبللة بالماء، لزوم العد. ودفتر وارد وصندوق كرتون لنضع فيه الغلة، وصوت العندليب يشدو بجوارى، رميت الورد، طفيت الشمع يا حبيبى، ولكن ماذا لو جاء عدد كبير من الأصدقاء؟! ما أنا حبايبى كثير،كيف سأستطيع أن أتسلم كل هذه المبالغ فى وقت أحد؟ إذا جاء أحدهم وأعطانى الظرف، ثم أخدنى بالحضن وأخد له بوستين وطبطب له طبطيتين على ضهرى وكل سنة وأنت طيب، وعقبال.. و.. سأحتاج إلى أكثر من أسبوع وبالتأكيد ستحدث أخطاء.. ربما طارت الفلوس، أو وقعت ورقة هنا أو هناك، ربما اختلس أحدهم وهو ماشى كام ورقة كده فى الخباثة، أنا أدرى بأصدقائى، لا، المسألة ليست بهذه السهولة، لا حل سوى الفيش.. سأعمل فيشات بألوان وبأسعار مختلفة، كل واحد يدخل بفيشاته ويعطيها لى، وأنا ألم الفيش ثم أصرفها بعد ذلك على راحتى، وجاء اليوم المشهورد، يوم ٢٥ أغسطس.. ولكن لم يأت أحد!!

أين الأصدقاء.؟! أين المعارف؟! أين المجاملون؟! يا للحظ الهباب، لقد فعلها رمسيس الثانى، لم يختر يومًا يتحرك فيه وينتقل من الميدان إلاَّ يوم ميلادى، وخلفه أمة لا إله إلا الله تسير وتهتف له وتشير

بالمناديل، لم أكن أتصور أن رمسيس الثانى يفعل ذلك أبدًا، أكثر من اثنين وخمسين عامًا وهو واقف أمام المحطة، ألم تجد يومًا غير هذا يا رمسيس يا تانى؟! وهل صار الأصدقاء كلهم فجأة مهتمين بالحضارة المصرية القديمة وبالفراعنة العظام؟ لينصرف عنى الجميع بهذه الصورة؟! ليه كده يا إخواننا، ده حتى الحى أبقى من التمثال عمومًا لننتظر، ليذهبوا خلف رمسيس ويطمأنوا على وصوله، وسيعودون بالتأكيد اليوم لسه فى أوله.. أخيرًا.. وصل رمسيس الثانى بالسلامة، وعاد الجميع فرحين، واضطررت إلى أن أرسل مسدج عاجلة إلى الجميع، قلت فيها، اطمأننتم على رمسيس لا تنسونى، ولكن وفى اليوم نفسه كان المطرب هيثم شاكر قد تم الإفراج عنه وخرج من السجن، وكان الكل فى انتظاره أيضًا، المعجبون والمعجبات، يرحبون به ويهنئونه والبنات يبكين من فرط التأثر، حمد لله ع السلامة يا هيثم، وحشتنا يا هيثم، بنحبك يا هيثم، وأنا..!! أنا يا إخوانى!! ما ذنبى؟ هل سأقضى عيد ميلادى هكذا فى حبس انفرادى؟ دا حتى الحى أبقى من المطرب، عمومًا لننتظر بعد أن يطمئنوا على هيثم بالتأكيد سيعودون، هى مؤامرة بالتأكيد اشترك فيها هيثم ورمسيس الثانى، وإحنا ما استفتحناش بربع جنيه من صباحية ربنا، ولكن الناس لم تعتد بعد أعياد الميلاد النهارية سيأتون فى المساء، عملية الفيش لن تصبح مناسبة، ليستخدموا الفيزا كارد، الماكينة بجوارى، الكل يضع الكارت ويوقع فى السريع كده، وكل سنة وأنت طيب، ولكن أين الناس؟

الساعة بأت تسعه؟ آه.. الزمالك بيلعب مع طلائع الجيش، مباراة مهمة، تقرير مصير وأنا!! هل تتركوننى هكذا فى يوم ميلادى!! وتذهبوا إلى كاجودا؟! يعنى كاجودا أعز عندكوا منى.. ده.. حتى الحى أبقى من المدرب، وكانت نتيجة المباراة اثنين / صفر لصالح الطلائع.. ونتيجة عيد ميلادى، لم يحضر أحد، وفجأة انتهت أغنية العندليب ليشدو فريد الأطرش عدت يا يوم مولدى جئت أيها الشقى.

كل سنة وأنتم طيبون..

فيكس كادر (مشهد ثابت)

سمِّ أى شىء فى هذه الدنيا إرهابًا، وافعل ما يحلو لك، تستطيع أن تأخذ رخصة لتقتل أطفالاً أبرياء من مكتب التراخيص فى واشنطن، ولا تندهش إذا رأيت الرئيس بوش يقول فى حزن عميق: "من حق إسرائيل أن تدافع عن نفسها".. ولا تتعجب حينما تقول الآنسة كوندوليزا إن وقف الحرب من شأنه أن يعطل مسيرة السلام، وأن الدمار وقتل الأطفال والنساء هو الطريق الوحيد للشرق الأوسط الجديد، ولا تستغرب حينما يقول أولمرت بعد أن يرى جثث الأطفال الأبرياء فى "قانا" فى "مذبحة الملائكة"، لن يهتز لنا جفن ولن نتأثر مهما حدث، إيه يعنى شوية عيال، هما كانوا أول عيال يموتوا ولا آخر عيال، أدينا بنحل المشكلة من جذورها، مش دول كانوا ح يكبروا وينضموا للمقاومة؟

ولنترك المشهد الخارجى (الواضح وضوحًا بشعًا) ونتوغل قليلاً داخل المشهد، لنتأمل إيهود أولمرت قليلاً، هل شاهدت هذا الوجه من

قبل؟ تشعر بأنه من النوع المألوف، فعلاً، أنت لا تتذكر أين ومتى رأيت هذه السحنة أول مرة؟ دعنى أساعدك شد اللغدين قليلاً إلى أسفل، واملأ كرشه قليلاً فستجد أنه هو شارون، قص الشعر وشد الأنف وفلطح الوجه بعض الشىء فإذا هو باراك، أضف بعض التعديلات البسيطة لن تبذل مجهودًا لكى ترى أمامك نيتانياهو.. هيا، لنحلق شعره ونجعله أصلع ولنعطه نظارة مستديرة، فعلاً هو بيجين، أعطه باروكة شعثاء بيضاء، ثم مد بوزه للأمام، هى جولدامائير، من تريد أن ترى أيضًا، خفف شعره قليلاً وضع على إحدى عينيه عدسة سوداء، عرفته؟! موشى ديان طبعًا، هكذا المشهد الإسرائيلى، للحق، مشهد ثابت لا يتغير.

ماذا عن المشهد الأمريكى؟ أحلق لى شعر كوندوليزا رايس وأجعلها تمتلىء قليلاً، من ترى أمامك؟ تأمل جيدًا، صح برافوا عليك.. كولين باول طبعًا، أصبغ وجهها باللون الأبيض، ثم اجعلها ترتدى جيبة قصيرة وليكن شعرها فضيًا هذه المرة، من التى أمامك؟ إنت هايل. فعلاً مادلين أولبرايت، إذًا.. لا جديد فى المشهد الأمريكى، هيا.. لنتأمل مشهدنا، المشهد العربى، لا.. المشهد عندنا حاجة ثانية خالص، المشهد متغير وكل يوم حاجة جديدة.

قلنا زمان إننا سنلقى باسرائيل فى البحر، ثم بعد ذلك عملنا اتفاقية سلام فى كامب ديفيد، ثم عملنا اتفاقات تجارية. وصفقات، وصدرنا لهم الغاز والأسمنت، كنا نشجب ونستنكر وندين، ثم صرنا لا

نشجب ولا حتى (نتقمص)، والحمد لله، أهى ماشية، نعم تستطيع العربة الخربة أن تسير، إذا وضعت فى أعلى طريق منحدر، ومحدش بصراحة يقف قدام القطر، واحنا نحمد ربنا على الستر والصحة، يا عم سيبك، خد العيال واطلعوا على مارينا، تى شيرت حلو على بنطلون بنتاكور ونضارة بلو وسابوه خفيف، وريح كده قدام الميه مع درينك لطيف، والشلة كلها هناك، شريف سيراميك ووائل بورسلين وعلى موبيليا، و"لابلاج" بأه "وكاربيانو"، ودماغ.. دماغ.. دماغ.. ومهيصين يا عم الحاج، قالت لى إحداهن فى خجل مصطنع، مش قادرة أنزل الميه، قلتلها ليه؟ قالت.. نسيت الكاش مايوه، نظرت إليها مليًا، ثم قلت لها لا يا عزيزتى، ركزى قليلاً.. إنتِ نسيتى المايوه.

ابتسمت فى خجل وانصرفت مسرعة ولا أعلم لماذا خجلت.. لست وحدك يا عزيزتى.. كلنا قلعنا خلاص..

وكم ذا بمصر.. للطيران

هل صدق المتنبى حينما وصف مصر فى بيته المشهور: وكم ذا بمصر من المضحكات.. ولكنه ضحك كالبكاء"؟ الغريب أنه حينما وصفها بذلك أيامها لم يكن صادقًا بقدر ما كان مفتريًا، فشئون مصر أيام المتنبى لم تكن مضحكة، مبكية كما زعم، حيث كانت مصر تسبق كل المدن وكل البلاد، وكان علم مصر يخفق على حدود بعيدة فى الشرق والغرب، وكانت أمورها فى غاية الانضباط، وكان أهلها يعيشون حياة هائلة ولم يكن ساخطًا وقتها غير المتنبى وحده، لأن كافور الإخشيدى لم يحتفل به كما يريد،وكان يرى أنه مجرد شاعر يقول بيتين وياخد اللى فيه القسمة، وخلاص، ولكن لو عاش المتنبى أيامنا هذه لكان من حقه أن يتيه بنفسه إعجابًا، بل ربما أحس أن بيته هذا أقل مما ينبغى أن يقال فى مصر، فمصر الآن.. مضحكة.. مبكية ما فى ذلك شك، تذكرت ذلك كله وأنا عائد من بلد عربى شقيق على متن طائرة مصر للطيران، وما سأحكيه لكم شاهدته بعينى وسمعته بأذنى، حينما دخل اثنان من الركاب، أحدهما ممتلىء قليلاً والآخر نحيف وطويل قليلاً، الرجل

الممتلىء كان يبدو وجهه مألوفًا، وهو الأستاذ محمد عشوب فنان الماكياج الأول فى العالم العربى، والمنتج السينمائى، وإذا بالأستاذ عشوب يطلب فوطة سخنة، لكى يمسح يده، فإذا بالمضيف ينظر له بازدراء ويقول له: إن الفوط السخنة لا تقدم إلا لراكب الدرجة الأولى، أما هؤلاء الذين يجلسون فى الدرجة العادية فغير مسموح لهم بأن يمسحوا أيديهم، ثم أغلق المضيف الستارة وقال.. سورى.. "الفيرست" حاجة وانتوا كأيكونومى حاجة تانية، وثار الأستاذ عشوب، وانفعل، وثار المضيف وانفعل، فما كان من الرجل النحيف إلا أن أخذ يهدىء فيهما، و.. خلاص يا جماعة، محصلش حاجة عشان الطيارة تطلع ونروح بيوتنا، وطارت الطائرة، ورضينا جميعًا بالأمر الواقع، وهمس الرجل النحيف فى أذن الأستاذ عشوب، بعد كده نبأه نجيب فوطنا وحاجتنا معانا، بعد قليل دخلت المضيفة، نظرت نحونا تلك النظرة التى تسددها زوجة قرفانة من زوجها الذى أتى إلى البيت فى نص الليل وعاوز يتعشى، وقالت بحدة للرجل النحيف، لحمة ولا سمك؟! كان السؤال مفاجئًا، مما أربك الرجل النحيف.. فقال.. الموجود، فنظرت إلى الطاولة التى فى الكرسى وقالت له، ارفع الطاولة اللى قدامك دى. ح أحط لك الأكل فين؟! ورغم أن هذه تحديدًا هى وظيفة المضيفة فإن الرجل النحيف كان يؤمن بمبدأ.. الإيد البطالة نجسة، وما كاد يرفع الطاولة من داخل الكرسى، حتى وجد عليها منظرًا مقززًا للغاية.. بقايا طعام، ومنديل مستعمل، وأشياء قذرة،

فأغلق الطاولة بسرعة، وقال لها: الطاولة قذرة للغاية.. فنظرت نحوه بغيظ وقالت له: وأنا مالى دى مش شغلتى، ثم ألقت له بكام منديل ورق، وقالت.. ياللا.. اعمل لك همة، عاوازها تبأه مراية، نضفها، ولم يطق الأستاذ عشوب وثار، وانفعل، والآنسة المضيفة ثارت وانفعلت، وصارت مشكلة أكبر من المشكلة الأولى، وجرت الآنسة نحو زملائها فى الطائرة.. تقول لهم الحقونى.. فيه راكب بيشخط فيا، وتجمع المضيفون وجاءوا بربطة المعلم لكى يؤدبوا الركاب قللات الأدب، ولم ينقذ الموقف سوى أن تحرك شاب هو المسئول عن أمن الطائرة وأخذهم جانبًا، وأفهمهم أن الأستاذ عشوب رجل مهم وعنده علاقات، فتراجعوا.. ثم.. اعتذروا وأرسلوا الفوط السخنة وأطباق الفاكهة.. وكم ذا بمصر.. من المضحكات.

أعزائى.. أنصحكم إذا سافرتم على مصر للطيران، أن تجهزوا أنفسكم بالفوط والمقشات والجرادل، فربما طلب منكم أن تسيقوا الطيارة أو تمسحوا الكراسى، وأحذركم أن تكلموا أى مضيف أو مضيفة.. لأن روحهم بأت فى مناخيرهم، انتوا رايحين تسافروا مش تتهزأوا.

تلك هى القصة، واسمحوا لى أن أذكر لكم أسماء الأبطال حتى تصبح واقعية أكثر، البطل الذى هو الضحية هو الأستاذ عشوب كما قلنا، ورئيس المضيفين اسمه يوسف محمود والمضيفة اسمها إيناس

ورجل الأمن العاقل اسمه شريف الجندى.

آه.. نسيت شيئًا، الرجل النحيف الذى كان مع الأستاذ عشوب، هو أنا على فكرة، بس الكلام ده يبأه بينا وبين بعض عشان منظرى بس، وأنا منذ حدث معى هذا، مصاب بحالة نفسية غريبة، قال الأطباء إن اسمها العلمى، "حالة تنظيف الترابيزات بلا مبرر"، ماشى علطول بالفوطة السخنة ونازل تلميع فى أى ترابيزة أشوفها قدامى.

إلخ، إلخ، إلخ

عفوًا، اسمح لى، أنت لا تهاجم أحدًا على الإطلاق، سنوات وأنت تكتب ولا تطلق كلابك على أحد، كيف؟! حاولت أن أرد لكنه بسرعة أطلق قذائفه، هل هذا جبن؟ هل هذه دبلوماسية مفرطة؟ أم أن لك مصالح مع كل هؤلاء؟ أم أن الحياة جميلة والبشر كلهم أنبياء وملائكة؟ لا تحاول أن تفهمنى أنك رقيق الحس، آسف، أنت ساخر، لاذع ولكنك تتعمد أن تغمد خنجرك، ولا تشهره فى وجه أحد، لا تحب أن تنزل إلى الميدان وتشترك فى المعركة، أنت متفرج سلبى مجرد متفرج بلا رأى.

قلت له يا عزيزى: لقد هاجمت الكثيرين وبضراوة، ولكننى كنت حريصًا على أن أهاجم المعنى وليس الشخص، اسمع دى، لقد هاجمت أحد النقاد ذات يوم، ولم ألعب معه لعبة الحروف والرموز والأخبار المجهلة، فقط كنت أتكلم عن ناقد جاهل مرتشٍ رسمت له صورة كاريكاتورية غاية فى المسخرة، ولم يعرف أحد أن هذا الناقد بالذات

هو المقصود، وبعد سنوات قابلنى بالمصادفة فى مكان، ولم أكن أعرفه، اختلى بى جانبًا وقال، أنت كنت تقصدنى يوم أن كتبت كذا وكذا، واندهشت كيف أدرك ذلك؟ ولكننى لم أندهش كثيرًا، ألم أكتب يومها ما كتبت بقلبى، فلابد أن يصل، ولابد أن يظل يذكره طوال هذه السنين، وهاجمت ممثلة بالطريقة نفسها، كنت أتكلم عن الصدق ورسمت شخصية لنجمة تكذب فى الحياة وفى التمثيل وكليهما ردئ، ويا لدهشتى، شعرت هى أيضًا إنها المقصودة، وكأنها تحقق المثل الشعبى "اللى على رأسه بطحه"، والبيت الذى يقول "يكاد المريب يقول خذونى"، أنا لا أهاجم الشخص فالمعركة هنا تصبح معركة ساذجة، أنا تاجر جملة ولست تاجر تجزئة، لقد هاجمت التفاهة، فهل تتصور عدد الذين هاجمتهم، هاجمت الرشوة والابتزاز وما خلصتش.

كل من أقابله من هؤلاء ينظر نحوى بكراهية شديدة، أنا لا أقاتل بخنجر أو بمطواة، وإنما أدك المواقع دكًا بمدفعية ثقيلة، مشكلتك أنك تقرأ السطور التى أكتبها، وأنا لا أبذل جهدًا إلا فيما بين هذه السطور، فالكتابة عملية مشتركة بين القارىء والكاتب، ويجب أحيانًا أن تخفى أشياء لكى يستنتجها القارئ، ما هو لازم يشتغل برضه، اشمعنى بيشتغل على المخرج الذى يصور له المطر والرعد والبرق، والكنكة التى تفور حينما يزنق البطل البطلة تحت بير السلم، ونحن فى حوارنا اليومى نستخدم تعبيرات مثل كذا، وكذا أو إلخ إلخ إلخ للدلالة على أننا نفهم ما لم يُقَلْ، بالحداقة كده، يقولك: دخلت عليه المكتب

وروحت طابق فى زمارة رقبته، يا كذا يابن الكذا، إلخ، إلخ، وهكذا أنت طبعًا ترجمت إلخ هذه، وتخيلت الشتائم ونوعيتها التى انهال بها عليه لحظة دخوله المكتب، وآخر يقولك، أول ما شفتها مسكت إيديها وبصيت فى عينها وقلت لها وحشتينى، وإلخ، إلخ، هنا تستطيع أن تتصور كلام الحب والغرام الذى انهال به عليها، وإذا زاد عد إلخ عن ثلاثة، تستطيع أن تتخيل المطر والرعد والبرق والكنكة التى تفور.

ويحكى أن سيمون بوليفار محرر أمريكا الجنوبية، كان ينوى أن يبيت ليلة فى فندق، فأرسل سكرتيره خطابًا إلى صاحب الفندق فى المدينة، يطلب فيه إعداد حجرة مجهزة تجهيزًا خاصًا بوسائل الراحة وبالطعام وإلخ إلخ، إلخ، وحينما وصل بوليفار إلى الفندق أخذه المدير إلى أفضل حجرة وبعد أن أعرب عن رضاه، توجهوا بالرجل العظيم إلى الحجرة المجاورة، حيث رأى ثلاث نساء مثيرات فاتنات عاريات تقريبًا، فسأله بوليفار مندهشًا، ومن هؤلاء الفتيات؟ فرد صاحب الفندق، دول، إلخ، إلخ، إلخ.

الوصفة السحرية للتفاهة العصرية

قال بلهجة الخبير: سيبك الهلس هوه اللى ماشى، ح تكلكع روحك وتعمل لى فيها مثقف ولا حد ح يعبرك، التفاهة هى البساط السحرى، الذى يقفز بك بسرعة الصاروخ إلى النجاح والشهرة والفلوس والعز.

ونظر بقرف إلى مكتبتى المتكدسة بآلاف الكتب ساخرًا، أهم دول اللى ح يودوك فى داهية، كل دول عاشوا فقرا مش لاقيين اللضا، ووجعوا دماغنا ودماغهم ع الفاضى. قلت له: أنا أختلف معك يا عزيزى، برناردشو كان نجمًا ومشهورًا، ومليونيرًا أيضًا، قال يائسًا من الحديث مع أمثالى: برنارد شو مين وبلا أزرق مين بس، إحنا فى مصر وحياة والدك، بره ياكلوا من الكلام ده عشان ناس مستريحة، قلت له وهذه اختلف معك فيها أيضًا، نحن نأكل من هذا الكلام ونهضمه ويؤثر فينا، نجيب محفوظ كاتبنا العالمى، ألم يصبح مليونيرًا هو الآخر من كتبه؟ قال ماشى والفلوس جات له إمتى؟ مش على كبر، يدينى

ويديلك طولة العمر، وانضم إلينا صديقنا عرفة وهو خبير آخر من خبراء الحياة، وقال: بتنصح فى مين!! ده أنا غلبت معاه، وفجأة صاروا أغلبية، كلهم يرفعون شعار أهلاً بالتفاهة، يا مرحب بالهلس إدينى فى الهايف، وانهزمت أمام الأغلبية الكاسحة لحزب التفاهة، وقلت لهم: كفاية تريقه، خلاص لقد قررت أن أصبح تافهًا، أنتم على حق ولكن ضعوا لى برنامجًا، روشته، وصفة، تجعلنى تافهًا فى فترة وجيزة.

قال أحدهم مستنكرًا: برنامجًا، وجيزة!! ما هذه الألفاظ أنت لن ينصلح حالك أبدًا، انس اللغة الفصحى دى خالص وخلينا نعيش مع بعضينا.

قلت فى نفاد صبر أنا أهوه بين أيديكوا تفهونى، هيفونى.

قال أحدهم مافيش قراية لمدة ثلاثة شهور مبدئيًا، دماغك تروق وتبقى ع الأبيض، قلت له وأكتب إزاى؟ قال تكتب؟ حد قالك ماتكتبش، اللى ييجى فى دماغك تكتبه، وينزل زى ما هو لا تصلح ولا تجود مش عاوزين فلسفة، أنت ح تتعب فى الأول أكيد ح يقع منك لفظ كده ولا كده من المجعلصين إياهم، ما هو أصل ده بيبأه داء بعيد عنك، وتبطل الشعر اللى أنت قالب دماغنا بيه ده، أبو العلاء والمتنبى وامرؤ القيس دول عالم فاشلة أساسًا، خلاص بطلنا الشعر؟! قلت له بطلناه يا سيدى، قال لى تكتب أغانى، ما تبصليش، لا مطلوب منك تغل فى روحك وتطلع معانى ولا حتى الغنوة تبقى موزونة، كله فى

اللحن يتوضب، المهم الكلام يبقى روش وحراق وقفلات الغنوة خدها م الأغانى اللى فاتت وخش هاجم، لقيت المطلع، خلصت، اسمع ده (وحياة أمك ما ح أسيبك لو حتى لآخر الدنيا)، ترد فى البيت التانى وتقول ثانية فانية جانية، حبيت تفتكس وتعمل كل كوبليه بوزن ثانى غير الأولانى محلولة، ويا عينى بقى لو وقعت على ملحن يفهمك ويدارى الكسر اللى فى الأغنية والأورج ما حرمش حد من حاجة.

بالنسبة للسيما بقى: المهم اسم الفيلم، لازم تلاقى اسم مطرقع، لقيت الاسم خلاص تمضى وتقفش، والسيناريو أى عيل يكتبهولك قلت له والمسرح؟! قال لى المسرح ده غلبه ووجع دماغ على الفاضى ما انصححكش بيه، المسرح كاركتارات، ح تكتب وتضيع وقتك وح يطلعوا يقولوا كلام تانى، وعلى إيه، كان زماننا عملنا عشر ألبومات ده الصيف داخل، حتى أوزن كده وحس، المسرحية حطها على إيدك اليمين والأغنية على إيدك الشمال، المسرحية ح تطب والنقاد ح يهروا بدنك ويجيبو لك البواسير، الشريط بقى مسافة ما ينزل وقبل ما يتشتم يكون لسع سبعة مليون، بالنزبة (قالها بالزين) للتليفزيون بأه ده موال تانى، المسلسل فوق الألف صفحة، ومين له دماغ ولا طقطان على كده، أنت تجيب شوية شباب من اللى قاعدين على القهاوى دول وغاويين، وتوزع المسلسل عليهم ده يكتب حلقة والثانى حلقة، فى أسبوع يكون معاك المسلسل، وأديك فتحت بيوت ناس وربنا جعلك

سبب عشان يرزقوا، وهما جابوا مصاريفهم والبانجو بتاعهم ومرضيين، هوه فيه أسطى ميكانيكى بيحط إيده فى عربية، الأسطى بيبص والصنايعية بتشتغل، عاوز بأه تقدم برامج فى التليفزيون العبع المضمون تنزل الشارع وتقابل واحد م الجمهور، وياريت عشان ماتنبحش قلبك تكون متفق معاه، وتقوم حاطط كفك فى وشه ومخبى صباعك الكبير، وتقول له الإيد فيها كام صباع؟ ح يعمل نفسه اتلخبط وح يقولك أربعة، الناس ح تقع م الضحك فى البيوت، وفى الآخر نقى أى واحد غلبان، يقول خمسة شوف الدعا اللى ح يجيلك، قلت له: ولكننى كنت أطمع أن يكون لى كتاب، شىء أتركه لابنتى، فقام غاضبًا وقال لى: أنت عاوز تميل بخت البت، كتاب إيه فى الحر ده، قام عرفه محاولاً تهدئته وقال، واحدة واحدة عليه يا جدع ثم التفت لى وقال، وماله تعمل كتب وتاكل منها الشهد بس المهم الموضوع والغلاف، خد العنوان ده، أنا مش قدك بس فى السكة دى يعنى: "أسرار وحكايات تحكيها العاهرات"، وحط عليه خمسة وعشرين جنيه، إن رجعت نسخة قول عليا حمار، قلت له هذه دعارة، قال لى بقولك إيه: ما تنبحشى قلبنا معاك إنت وافقت م الأول، خلينا نشوف مصلحتك، قلت له ولنفرض أننى سأكتب عن ذلك هل أتكلم عن كليوباترا عن سميراميس؟ عن امرأة العزيز عن بولين شقيقة نابليون؟ فنظر كل منهما إلى الآخر نظرة ذات مغزى مثل طبيب الأفلام الذى يردد جملته الشهيرة اليائسة: إحنا عملنا اللى علينا والباقى على ربنا.

مرت لحظة صمت والكل ينتظر قرارى، متى سأبدأ فى تنفيذ الروشتة قلت لهم يا أصدقائى يبدو أنى سأفشل، التفاهة صعبة للغاية، مرهقة للغاية، الثقافة أسهل بكثير.

أثــّر ولمّ المتكسر

لاشك أن التأثير فى الناس أصبح أمرًا بالغًا فى الصعوبة، ولذا صار مستحيلاً أن تكوِّن رأيًا عامًا عن أى شىء، فالقنوات الجديدة والصحف والمجلات العديدة، صارت أشبه بعفاريت أطلقت من قماقمها، وصراع العفاريت صراع جبار مهول، لا ينتج عنه غالبًا إلا رياح وزوابع هوائية، كنا نقول عنها ونحن أطفال، ده عفريت واكل قرنبيت، وكل نافذة إعلامية تقدم فكرة، تتبناها، تتحمس لها، تتعصب لها، فتتسمر أنت أمام الفكرة وتصبح من أشد أنصارها، ولكن بضغطة خفيفة تجد محطة تانية تناصر فكرة أخرى فتشدك إليها، بعد أن تهدم بداخلك أى إيمان بالفكرة الأولى، فتجد نفسك تعمل مثل فريد الأطرش وتقول: وأنا كلمة تجيبنى وكلمة تودينى، والنتيجة؟! الساعة بقت ٤ الفجر، تنام على الكنبة فى مكانك من فرط الإجهاد، وتكون تلك هى الفكرة الوحيدة التى آمنت بها حقًا، ولاشك أن هذا الزحام والتكدس فيما يختص بالأفكار له إيجابياته، ولكن على غرار ما يحدث،

دعونا نتكلم عن سلبياته، أتصور أننا تحولنا ـ رغمًا عن أنفسنا ـ إلى مجرد متفرجين وكأن ما يحدث مسرحية، وكل هؤلاء ممثلون.

وإنى لأتعجب من التأثير الهائل الذى كان يملكه زعيم مثل مصطفى كامل، أو سعد زغلول، بعبارات قليلة كانت الدنيا كلها تنشال وتنهبد، ومصطفى كامل بالذات كمناضل وطنى لا غبار عليه، لم يحمل بندقية، وإنما كان الميكروفون أمامه، والقلم فى يده، ومع ذلك أزعج أوروبا كلها، وحينما وجه خطابه الشهير بعد موقعة دنشواى قائلاً فى سخرية مرة: يا أيها العالم المتمدين، كانت قنبلة، ووضع العالم المتمدين وشه فى الأرض من فرط الخجل والكسوف، ولكن ماذا حدث للعالم المتمدين إياه فى أيامنا هذه؟ مفيش نقطة دم، ولذا أصبح من العبث أن تخاطبه لا بالمحسوس ولا بغيره، فهو عالم آرح، بجح، جبّلة. طيب وإحنا، ماذا حدث لنا؟! قال لى، دوامة أكل العيش، المعايش بقت صعبة، قلت له هذه الجملة عمرها سبعة آلاف سنة، قالها المصرى القديم لواحد مصرى قديم برضه فى عهد الملك مينا، ومع ذلك كانوا يتحركون، ينفعلون، يتأثرون، أما ما نحن فيه الآن، إنها الغيبوبة، الهاطة الكبرى.

حينما كانت الأمية فى مصر هى السائدة، كانوا يطبعون منشورات، هل ترى المفارقة؟ والشىء الأغرب أنها كانت تجد أثرًا وكانت ترعب جنود الاحتلال والبوليس السياسى، قال لى ولماذا اختفت

المنشورات؟ قلت له: المعايش بقت صعبة، اليوم لو أردت أن تطبع منشورات سيأتى لك صاحب المطبعة ويقولك عاوز ورق ٧٠ جرام ولا ٨٠ جرام ده بسعر ودا بسعر، أعملها لك كوشيه بس أطبع كمية كبيرة عشان تشيل بعضها، ثم سيصمت قليلاً ويقولك: اسمع إحنا نحط إعلان ربع ساعة لعلبة سمنة نازلة جديد، وأهو كله من التكلفة، قلت له، إن المنشورات التى أنوى أن أوزعها أهاجم فيها السمنة قال ببساطة، مش مشكلة، نحط الهامبورجر، قلت له وهذا أيضًا أهاجمه فى المنشور، قال صاحب المطبعة يائسًا، كده المنشور مش ح يجيب ثمنه، أنت حر، أنت ناوى تبيعه بكام، قلت له غاضبًا، أبيع إيه؟ ده منشور سأطبعه فى السر، وأوزعه فى السر، وغالبًا ما سيتعقبنى البوليس وسأهرب وأتنكر، وربما أختفى عند ناس طيبين، غالبًا ستكون عندهم بنت جميلة ناعمة تؤمن بكفاحى من أجل الوطن. قال بسرعة، بس، بس، أنا فهمتك، ما تقول م الصبح يا أخى، أنت نازل الانتخابات قلت له فى يأس، هو أنا لازم أكون عندى غرض عشان أعمل منشور؟ أريد أن أفضفض أن أكتب عن السلبيات التى أراها فى المجتمع حتى يقرأها الناس، قال لى إذن أعمل مثلما عمل ذلك الشاب السوفيتى الوطنى قلت له، وماذا عمل؟، قال قبض عليه وهو يوزع منشورات بعد أن ظلوا يراقبونه شهورًا طويلة، وضبط متلبسًا وحقيبة المنشورات معه، وكان يوزعها بنفسه، وحينما فتشوا الحقيبة وجدوا أن

بها أوراقًا، ولكن أوراق بيضاء ليس مكتوبًا فيها كلمة واحدة!!! ولما سأله المحقق، ما هذا؟ أوراق بيضاء!! ماذا تعنى بهذا أجاب قائلاً: إن الناس يا سيدى يعلمون جيدًا ما أعنى، الناس مش حمير!

المقال التانى

جلس ليكتب، وضع كوب الشاى بجواره والورق والقلم وصرخ فى أهل البيت بس، مش عاوز أسمع صوت، أنا باكتب، ووضعت زوجته المسكينة يدها على فم صغيرها، وشدت البنت من ديل جلابيتها وشخطت فيها، ششت، إخرسى، بابا، بيكتب، وفجأة اندلع صوت زغرودة عالية من الشقة المجاورة، حسين ابنهم نجح فى الثانوية العامة وبمجموع يؤهله لأن يعيد السنة عشان يحسن مجموعه، وجرت الزوجة وفى ذيلها ابنتها والواد على صدرها، ورنت الجرس، فتحت أم حسين الباب وهى مبتهجة، ولا يزال فمها يصدر الزغرودة العالية وكأنها علقت على كده، مساء الخير يا أم حسين، مبروك، وردت أم حسين فى استراحة قصيرة من الزغرودة وقالت: الله يبارك فيكى يا حبيبتى، ثم عادت الزغرودة مرة أخرى لولولولى أصل الأستاذ بتاعى بيكتب، لامؤاخذة يعنى لوتوطوا الصوت شوية ولولولوى، وارتفع صوت زغرودة أم حسين فلم تسمعها، خرج الأستاذ حانقًا ثائرًا لاعنًا حظه الذى أوقعه بين هؤلاء السوقة

والدهماء، وجلس على مقهى ووضع الورق والقلم أمامه، ثم قال لنفسه سأكتب عن مصر، تذكر فى مرارة كم داخ السبع دوخات ليحصل على عقد عمل فى أى دولة ليخلص من هنا، وذلك السمسار الذى عرض عليه عقد عمل نظير مبلغ من المال، ولم يستطع أن يكون المبلغ برغم أنه سرق سيغة أمه، وتقاضى رشوة من أحد رجال الأعمال، لكنه النصيب، تذكر كم يكره أهله وجيرانه ولا يطيق سيرتهم، وكم يسعد حينما يدخل السينما ليشاهد أحد الأفلام الأجنبية، فيرى الشوارع والناس هناك فيتحسر، وأفاق من شروده على الورقة والقلم، فكتب:

بلادى وإن جارت عليا عزيزة.. وأهلى وإن ضنُّوا عليا كرامُ.

وقال لنفسه ساخرًا: الكتابة حاجة وإحساسك حاجة ثانية خالص، فالوطنية سواء كانت حقيقية أم زائفة طريق مضمون لمكاسب كثيرة، ولكى أكون وطنى جامد قوى سأشتم رجال الأعمال، هؤلاء الذين يعيشون فى الفيلات والقصور، بينما يعيش المواطن المصرى تحت حد الفقر، صحيح أننى لا أطيق هذا المواطن الفقرى، ونفسى تيجى شوطة وتاخد الفقراء كلهم، إنما حينما أكتب يجب أن أبدو متحيزًا للفقراء، فكل الذين وصلوا بدأوا حياتهم بالتحيز للفقراء، وحينما أكتب عن الفن سأكتب عن الزمن الجميل الذى ولى وسأهاجم عصر الانحدار والإسفاف الذى نعيشه، صحيح أننى لا أحب الريحانى ولا على الكسار ولا يوسف وهبى، وأننى أتثاءب

وأغط فى نوم عميق، حينما يعرض التليفزيون أحد أفلامهم، ولكننى يجب أن أنتمى إليهم، وأرفع لواءهم لأصبح حامى حمى الفن الجيد، لم يتبق شيء سوى البطولة، لابد أن أشتم أحدًا، وأمسح به البلاط حتى يثنى الناس على شجاعتى، ولكن مـن أشتم؟ بس، لقيتها اشتم عبد الناصر، ولكن، لم تعد هذه لها قيمة، فأى عيل النهاردة يمكن أن يشتمه، ستتوه مقالتى بين مئات المقالات، ولن يشعر بهـا أحـد، ثم فكر قليـلاً، وقـال، اشتم السادات؟! لكنه عاد واكتشف أن ذلك لم يعد "إفيـه"، وضع القلم عـلى الورقـة فى غيظ وقد تأكسد مخه تمامًا، أولاد الأرندلى لم يتركـوا واحـدًا لكى اشتغله ثم انتبه فجأة وقـال ولمـاذا أشتم؟ لماذا لا أمدح فى شخصية الكل شتموها ولعنوهـا؟ وأضاءت لمبـات دماغه العبقرية للفكرة الرائعـة، سأمدح الملك فـاروق، سأعيد لهـذا الرجـل حقه المسلوب.

وقبل أن يبدأ فى الكتابة وجد كتابًا يضع على غلافه صورة الملك فاروق وعنوانه، فاروق المفترى عليه، فألقى بالقلم فى غضب، حتى هذه لقطوها، ما هذا السباق المحموم أعطونا فرصة يا ناس، ثم عاد وقال لنفسه. لن أيأس، سأخبط الخبطة وزى ما تيجى وكتب العنوان (عمولات الوزير وصفقاته المشبوهة)، يا عينى، هذا بالتأكيد سيتصدر الغلاف، لن يقاوم رئيس التحرير أن يضعه على الغلاف، وكتب المقال ولم ينس أن يضمنه بالطبع بعض الكلمات الحراقة مثل، والغلابة أمثالنا، وفلوس البسطاء، ويا عينى عليكى يا مصر، ثم أنهى المقال

نهاية ثورية عالية وهو يقول: حتى لو لم أبت فى بيتى يكفى أننى قلت الحق وعشانا عليك يا رب، ختم المقال وهو يتصبب عرقًا من فرط الانفعال، وبدأ يسرح فيما سيحدث!!! رئيس التحرير يكلمه بعد نشر المقال، يخرب بيتك، الوزير قالب الدنيا عليك، لازم تروح له، سيذهب إلى مكتب الوزير، و ما إن يذكر اسمه إلى مدير مكتبه سيدخله فورًا، سيبدأ الوزير معه الحوار ثائرًا،غاضبًا ولكنه طبعًا سيهدئ من روعه وبحرفنة شديدة سيقول له إن كل شىء ممكن يتصلح، وأنه سيكتب مقالته الجديدة ينفى فيها كل ما كتبه فى المقالة الأولى.وسيعينه الوزير طبعًا مندوبًا للجريدة فى الوزارة.

وأفاق من سرحانه على صوت القهوجى، وهو يغير له حجر الشيشة، فقال لنفسه بالتأكيد سأغير هذه القهوة الحقيرة بعد أن أقابل الوزير، وسأكتب فى الهليتون حيث الحجر مليان وبسبعة جنيه، هذا بعد أن تلعب البلية، ولكن لماذا أضيع وقتى؟ لأكتب المقال الثانى، الآن، حتى يكون جاهزًا حينما يستدعينى الوزير، وكتب العنوان: (براءة معالى الوزير، بالمستندات) وفى دقائق معدودة كان قد انتهى من المقال ورد بإفحام على كل النقط التى أثارها المقال الأول، وأضاف أن الوزير لا يشغله سوى المواطن البسيط الغلبان وذهب إلى المجلة وأعطى رئيس التحرير المقال، وانصرف.

وانتظر بشوق صدور العدد وتلقفه من بائع الجرائد فى سرور،

ولكنه يا للحظ التعس كان قد سلم المقال الثانى بدلاً من المقال الأول، فلم يضعه رئيس التحرير على الغلاف، ولم يستدعه السيد الوزير إلى مكتبه.

خلف خلاف

عزيزى القارئ، يا من تختلف معى، فى كل حال أنا لا أنسى أنك أكلت من طبقى وشربت من قُلَّتى، وعشت فى بلادى ونمت فى مدينتى، فأنت إذن أخى، وإن كنت خصمى، فإن اختلفنا أو افترقنا فلنختلف متحابين لا متخاصمين، مالك، تزعل وتنفخ فى زهق، لأن الفكرة التى عبرت عنها لم ترق لك؟ لا تضايق نفسك، ولا تشغلها بكراهيتى، سيبنى واذهب إلى مقال آخر، فالخير كثير والحمد لله، ولا تتصور أننى سأنافقك محاولاً استقطابك إلى صفى، فأنا لا أرشح نفسى للانتخابات، وأنا لا أملك غير صوتى، وهؤلاء الذين يحبون مقالاتى ويسعدون بها لن يعطينى أى منهم صوته، بالعكس، كلهم سيأخذون صوتى أنا.

والخلاف حول فكرة، قديم قدم الكون نفسه، بل إن البشرية كلها بدأت بخلاف حول فكرة، فالملائكة كلها سجدت إلا إبليس أبى واستكبر، وهبطنا كلنا من الجنة إلى الأرض لكى نختلف، واختلفنا مع الأنبياء والرسل والعلماء والأدباء والمفكرين، بل واختلف بعضهم

مع الله وكفر، بالأمس شاهدت فى قناة الجزيرة مناظرة بين طرفين، أحدهما مسئول عن المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية الأخيرة، وآخر يتهم كل من يتفاوض مع إسرائيل بالخيانة والعمالة، إلخ: المهم أن الحوار بدأ حضاريًا، ثم فجأة وكأن حريقًا شب فى المكان، وبدأوا يتراشقون بالألفاظ حتى وصلنا إلى وصلة ردح محترمة غاية فى البذاءة، هل هذا هو الاختلاف؟ ووجدت نفسى أنا أيضًا أختلف مع كليهما، وأختلف مع المذيع، وأختلف مع المحطة، إلى أن اختلفت مع زوجتى لأنها جابت الشاى البارد، ومع ابنتى التى لم تكف عن البكاء بلا سبب، وقالوا قديمًا إن الحكم على الثورة الفرنسية يختلف باختلاف المكان الذى نظر الناس إليها منه، فمنهم من رآها وهو فى الشارع، ومنهم من رآها من شرفات بيته، ومنهم من رآها من أعلى آلة الإعدام وكل يحكم حسب ما رأى، لنختلف يا أعزائى، لنختلف ولكن ليس لدرجة أن نهدم المعبد على من فيه، ويقول الشاعر:

ورضا البعض فيه للبعض سخط

ورضـا الكـل غايـة لا تنـالُ

شمر كُمَّك، وكلِّمْنِى

دائمًا يتصور الجميع أننى أخفى شيئًا ما لا أعلم لماذا، إنهم دائمًا يفتشوننى وبتعبير أكثر دقة (يقلبوننى). إذا ابتسمت ابتسامة بلهاء ينظر لى أحدهم بصياعة، ويقول: الابتسامة دى وراها حاجة. والمسألة كلها أن بذرة جوافاية كانت محشورة فى سنانى، وبحاول إخراجها. إذا قلت جملة عابرة يصرخ أحدهم لزميله استنى، أنت مش عارف الجملة دى وراها إيه، إذا نصحت أحدهم نصيحة صادقة يتشكك فى صدقها، يظل يقلب فيها، نظرية البحث عن السبب الآخر الذى لا يظهر على السطح، انتوا عارفين مين اللى دخل صدام الكويت أرد: مين؟ يقول أمريكا. أتعجب: يا سلااام؟! يقول أيوه هما اللى عاملين السيناريو ومرتبين كل حاجة، طيب عارف مين اللى بيمول الإرهاب؟ مين؟ الموساد، يا سلاام، أيوه زى ما بقولك، طيب عارف مين اللى كاتب بابا أوبح، أرد أيوه عنتر هلال، يبتسم فى سخرية من جهلى وتفاهتى عنتر مين يا بابا، اللى كاتب بابا أوبح نتنياهو!! هما عاوزين يدمروا

الشباب بعدما عودوه على البانجو، ده شغل حواه بس ما يخيلش علينا، ويشعل سيجارة فى أهمية ثم يهمس لى: عندك مراتى، أرد بحدة لا مراتك مش عندى! يكمل كلامه فى غيظ عندك مراتى مثلاً، سابت البيت إمبارح وراحت عند أمها تعرف مين السبب؟ قلت له: أمها. قال فى نفاد صبر، ده السبب اللى باين، إنما السبب الحقيقى مش أمها، أرد أمال مين يقول: أمريكا لما غرَّقت السوق بسلع استهلاكية، الولية انهبلت، حصل لها سعار استهلاكى، كل ما تشوف إعلان فى التليفزيون تدب خناقة لرب السما، عاوزه كل حاجة، أنا قريت الليلة روحت مقاطع كل السلع الأمريكية تمامًا، هيه عرفت كده وركبها ميت عفريت، وقلت بس الوليه دى عميلة وابتديت أراقبها، يا حبيبى ما تبقاش ساذج، وتصدق كل اللى تشوفه زى الأطفال إنت عاوز تفهمنى إن حكاية مونيكا مش متوضبة، الموساد هيه اللى لاعباها بحرفنة. قلت له فى زهق: سيناريوهات ألاعيب، حيل أفلام، أليس هناك أى شىء حقيقى؟! وهيه يعنى الموساد اللى قالت لكلينتون يريل على واحدة تحت التمرين، ويسيب اللى وراه واللى قدامه ويقعد يمرنها.

أخذنى من يدى كطفل صغير ودخلنا السيرك، طلع الحاوى وقال والآن سيداتى سادتى، وقد رأيتم أن قطعة القماش فارغة لا شىء فيها سأخرج لكم منها وعاءً يسبح فيه سمك المرجان الأحمر جلا جلا، وتصايح المتفرجون، يا للعجب!! كيف يستطيع أن يفعلها؟ همس لى

صديقى ساخرًا، إنه يخفيه فى كمه، فهز الناس رؤوسهم هز الواثق بذكائه وقالوا لاشك فى ذلك، وتهامس كل من فى القاعة إنه يخفيه فى كمه، قال الحاوى لعبتى الثانية ليتفضل أحدكم ويطلع لى، تعالى أنت يابو بدلة بنى، ماذا تخفى فى بدلتك؟ ياه ما كل هذا؟ وأخرج من جيبه عشرين بيضة!! وسأله ضاحكًا هل سطوت على عشه فراخ؟ وضجت القاعة بالضحك، ولكن صوتًا مصرًا يؤكد فى خبث: لابد أنه كان يخفى البيض فى كمه، ويومئ الجميع موافقين، فى كمه طبعًا وأخرج الحاوى علبته الخالية وأدخل فيها عصاه من الناحيتين وأظهرها للجميع، وحدق الكل فى يديه ثم غطى العلبة وقال جلا جلا، وأخرج منها أرنبًا ثم حمامتين ثم باقة ورد ضخمة، والكل يحدق فى ذهول، قال صديقى إن باقة الورد هذه كانت بالعلبة من البداية وهى يمكن طيها عدة مرات فتصبح فى حجم العشرة قروش، وحينما تفكها تنفش كما ترونها، ليس فى هذا إعجاز، فسألته وماذا عن الأرنب والحمامتين؟ قال يائسًا: لابد أنه كان يخفيها فى كمه، وهكذا ظل كم الحاوى هو المتهم الأول بإخفاء الطيور والحيوانات، وباقات الورود ومقعد هزاز، وحينما خرجت مساعدته الحسناء التى تحمل أشياءه أكد صديقى، أنه كان يخفيها هى الأخرى فى كمه، هنا أقترب الحاوى من صديقى وقال له باسمًا هل تسمح لى بساعتك الفضية هذه، وأخذها منه ثم قال: هل تسمح لى أن أضعها فى الهون؟ وهل تسمح لى أن أسحقها؟ قال صديقى لا مباليًا، أكسرها أنا معاك للصبح وهمس لى، خد بالك من

كمه، وضع الحاوى الساعة وانهال عليها بيد الهون حتى صارت بودرة ثم أظهرها لصديقى، وقال هل تحطمت تمامًا؟ ثم التفت إلى الجمهور وهكذا يا أعزائى أقنعت شخصًا عاقلاً، وبكامل إرادته أن أدشدش له ساعته، ليلتكم سعيدة، وانصرف، وإلى هذه اللحظة يظن صديقى أن الحاوى لم يكسر ساعته، وإنما أخفاها فى كمه.

أوعى حد يجرجرك

يحكى أن أحد القضاة فى ولاية تكساس، أيقظه أحد الأشخاص فى منتصف الليل، ليقول له إنه تقرر إلغاء محكمته الأخيرة، وحكمه الصادر فيها فسأله القاضى فى غيظ: ومن الذى ألغاها؟

قال المتحدث، ألغتها لجنة

قال القاضى وقد ثارت ثورته، أى لجنة تلك قل لى؟

قال المتحدث: كانت لجنة مؤلفة من كريستوفر العمدة وجورج نقيب المحامين، ومايكل صاحب البنك، فانفجر القاضى غاضبًا قائلاً: إنها لجنة من القوادين الأوغاد، أتحب أن أقول لك من هؤلاء؟ كريستوفر هذا العمدة هل تعلم كيف وصل إلى منصبه؟ أتحب أن تعرف الرشاوى التى دفعها والإتاوات التى يفرضها على الناس؟ وهذا "الفسل" جورج كان الأخير على دفعته، هذا الجبان الذى لا يحل ولا يربط، هل تعلم أن عليه قضية شيك بدون رصيد؟ يا إلهى

وحتى مايكل المرابى، صاحب البنك ألم يُتَّهم آبوه فى قضية تزييف نقود؟ ومن شابه أباه فما ظلم.

عندئذ قال المتحدث له ضاحكًا، هدئ روعك أيها القاضى، لقد كنت أمزح فقط، لم يلغ أحد المحاكمة ولا الحكم، اهدأ.

فقال القاضى له فى غيظ: الله يلعنك، لقد جعلتنى أقول هذه الأشياء عن ثلاثة من أعز أصدقائى.

والقصة برغم طرافتها إلاَّ أنها تعكس معنى غاية فى الخطورة، إنه إذا تضاربت المصالح انتهت الصداقة، ولقد تعلمت هذا الدرس جيِّدًا، فقد أتى لى أحدهم ذات يوم وقال لى: إن كاتبًا كبيرًا قال فى إحدى الجلسات إننى كاتب تافه ليس له قيمة، وأن دمى تقيل وأننى ضحل، فرددت على صديقى باسمًا وقلت له: ربما كان معه حق!. ولكن هذا لا ينفى أنه كاتب رائع وعميق الإحساس، وأننى من أشد المعجبين بكتاباته، فاغتاظ صديقى الواشى وقال لى: لقد قال عنك إنك حرامى تسرق من الآخرين، فأجبته بابتسامة أكبر قليلاً من الأولى وقلت له ربما لأننى متأثر بأسلوبه بعض الشىء، هذه حقيقة، ومن الذى لا يتأثر به نحن جميعًا خرجنا من عباءته، وأمام رزالتى هذه لم يجد الواشى سوى أن يصمت، حينما جمعتنا جلسة ثلاثية مفاجئة، أنا وصديقى الواشى، والكاتب الكبير، قلت له فجأة لقد وصلنى يا سيدى كل ما قلته عنى، وأصفر صديقى الواشى وأزرقَّ وأحمرَّ وكاد

أن يغوص فى الكرسى، ورد الكاتب الكبير، بهدوء، أنت تستحق أكثر مما قلت يا بنى، وحاول الواشى أن يغير الموضوع ولكننى أضفت. هل تعلم يا أستاذ من الذى أسعدنى وأخبرنى برأيك فىَّ؟ إنه صديقنا هذا فربت الكاتب الكبير على ظهره بحنان وقال: هوه ابن حلال.

صدقونى: كثير من الوشاة لا يعرفون أن الدنيا صغيرة وأن الكبار لا يلتفتون إلى البراغيث، فأين هؤلاء الذين كانوا بين عبد الحليم حافظ وفريد الأطرش؟ وأين هؤلاء الذين كانوا بين العقاد وطه حسين؟ إن الحياة تعمل "مونتاج" بنفسها لهذه الصغائر، وتبقى فقط على الأشياء الكبيرة.

دعونا نكره فى صمت

فى تركيا كاتب كوميدى جبار اسمه عزيز نسين، تنتابنى حينما أقرأ كتاباته عدة حالات، أولها حالة من الاندهاش، والانبهار ثم أفطس على نفسى من الضحك، بصوت يستدعى أهل المنزل ليتأكدوا من سلامة قواى العقلية. ثانيها حالة من الغيرة والغل، إنه تركى ومش مصرى، لأن خفة دمه من نوعية أنا أعرفها جيدًا لا تطلع إلّا من صايع وطاقق رسمى وابن جنية. ثالثها حالة من اليأس من أننى لا أستطيع أن أكتب فكاهة بهذه السخونة وهذا المذاق. رابعها حالة من الحيرة فيما سأعمله بعد ذلك، بعد ما أبطل كتابة وأشوف لى حاجة على قدى أشتغلها، قصة قصيرة لعمو عزيز اسمها "سقوط الحزب" وتحكى عن رجل ينتمى إلى حزب ما، ويرى أن الحزب المنافس له فى صعود، بينما حزبه ينحسر عنه الناس، وذهب إلى رجل محنك فى السياسة يشكو، قلة حيلته، إنه يريد لهذا الحزب المنافس أن يسقط سقوطًا مروعًا، أن ينهار، أن يتحطم على رؤوس أصحابه، ماذا أفعل يا سيدى، هل ألقى بقنبلة على مقر الحزب؟ هل أدبر مؤامرة لاغتيال

أهم كوادره؟ ابتسم السياسى المحنك وقال: كل هذا لن يسقط الحزب، قال الرجل وكيف أسقطه إذن؟ أجاب السياسى بثقة، انضم إليه، اندهش الرجل وقال له: أنا أنضم إليهم؟! كيف يا سيدى، كيف؟! قال السياسى، إن رجلاً بأفكارك وبكراهيتك هذه للحزب المنافس وأفكاره إذا انضم إليه فقط، بدون أن يفعل شيئًا، سيتداعى الحزب من تلقاء نفسه.

ويفعلها الرجل ومعه عدد كبير من رجال الحزب ويسقط الحزب المنافس سقوطًا مدويًا، الكراهية وحدها قوة هائلة لا يستهان بها، وأبشعها وأكثرها أثرًا تلك الكراهية الصامتة المختزنة، وأنا لم يؤذنى بالفعل هؤلاء الذين أعلنوا كراهيتهم لى، بل إننى مدين لهم بالشعور بحياتى نفسها، بصراعاتها، بآلامها، فصار لها مذاق وإنما هؤلاء الذين ابتسموا فى وجهى، وهم يضمرون فى أنفسهم بلاوى زرقا نجحوا أكثر.

إن الزوجة التى قطعت زوجها وعبأته فى أكياس، برغم عنفها وبرغم هيستيريتها فى التعامل مع جثة الراجل، وبرغم شراستها إلّا أنها أفضل عندى بكثير من تلك التى دست له السم فى فنجان القهوة، وهوه قاعد مرحرح بالجلابية بيتفرج على النشرة، بل إن إعلان الكراهية نوع من الحب،استغلته السينما أيضًا وجعلت البطلة الرقيقة تنهال بيدها على صدر البطل وهى تخبط، منهارة، باكرهك، باكرهك.

وأنا أحسده وأقول نفسى واحدة ما تطيقنيش وتكرهنى كره العما، أكثر من كده ثم ترتمى على صدرى فى النهاية، يا بخته، والكراهية الصامتة، أشبه بالمرض المزمن تظل تعانى منها طويلاً ولا تستطيع أن تكتشف المرض، وإن كانت أعراضه تظهر أحيانًا فى بصه، فى كلمة كده، واخدين بالكوا، ولكن المجتمع الجديد صار عنده قدرة كبيرة على إخفاء ما بداخله، وآه لو كان ممكنًا، لو نظرت فى عينيك فقرأت حقيقة مشاعرك تجاهى، آه لو انفتحت تلك المغارات المظلمة فى النفس الإنسانية وامتلأت بالنور، لما عشنا يومًا واحدًا بعدها، يا نهار أسود، صباح الخير يا جو انظر إلى عينيه، وأقرأ يا ابن الكلب يا واطى، صباح الخير وكمان بتقوللى صباح الخير، نحن نحمد ربنا أن أشياء كثيرة فى حياتنا تظل فى طى الكتمان.

ودعونا من عمو عزيز، واسمحولى أن أعرض لكم قصة أخرى روسية لمدير المخابرات الروسى، بعد أن تقاعد وذهب إلى دار المسنين، وجلس يتثاءب على مقعد فى الشمس بلا سلطة بلا سطوة، يلعب دومينو مع صديق عمره أيفانوفيتش الذى تجاوز الثمانين عامًا قال له، تعرف يا إيفان، أريد أن أعترف لك بسر. حينما كنت فى الخدمة جاء لى تقرير أنك جاسوس وعميل للمخابرات الأمريكية، امتقع وجه إيفانوفيتش ونظر له بدهشة وقال: أنا!! قال له نعم أنت وأطلقت رجالى وأجهزتى خلفك عشرين عامًا، أنا عندى تسجيلات لك تزيد على الأربعمائة ساعة، وملفك فى جهاز المخابرات عشرون مجلدًا، قال

إيفان، ياه، أكنت تراقبنى طوال هذه السنوات، إن زوجتك وزوجتى يرحمهما الله كانتا صديقتين، وعلاقتنا كانت عائلية وأولادنا، ابتسم مدير المخابرات الأسبق وقال، وزوجتك أيضًا كانت تعمل معنًا، مغلش، مالك، الشغل ما يزعلش وعمومًا فأنت لم يثبت عليك أى شىء، وتأكدنا أنك برىء وإنها كانت وشاية، تخيل بقى لو كانت ثبتت عليك، هاها، كنت سترى الويل منى، هاها، وانفجر فى الضحك. هنا رد أيفانوفيتش ببساطة وهو يدوس على الألفاظ التى تخرج من فمه الخالى من الأسنان: ولكنى كنت بالفعل، عميلاً للأمريكان، هاها، هاها، هنا امتقع وتجمد وجه مدير المخابرات الأسبق، ماذا تقول، أنت خرفت، قال إيفان كما سمعت، قال مدير المخابرات ولكن كيف، إن كل فيمتو ثانية من حياتك مسجلة عندى، أستطيع أن أقولك من قابلت، وتكلمت مع من، بل كم مرة نمت مع زوجتك؟ رد إيفان بمرارة: هذه سهلة ألم تقل لى إنها كانت تعمل معكم، وإن كنت أعتقد أنها غالطتكم فى العدد، قال مدير المخابرات. أنا لا أصدقك، قال إيفان لا صدقنى لقد جندونى بالفعل ذات يوم فى المقهى الذى كنت أجلس فيه، جاء رجل وجلس بجانبى وترك حقيبة بها مئات الآلاف من الدولارات وهمس لى بجملة واحدة، وانصرف. قال مدير المخابرات هل هى لعبة، كيف كنت تتصل بهم بعد ذلك، وكيف كنت تتلقى التعليمات؟ نحن لم نكن نائمين أنت كذاب، قال إيفان لم نتصل أبدًا بعد ذلك، كانت هى المرة الأولى والأخيرة، الجملة التى قالها لى

الرجل كانت كافية، كانت كافية، طلبوا منى أن أعين فى كل موقع أفسد العناصر وأسوأ الضمائر، وأقل الكفاءات، وقد فعلت ذلك فى كل مركز تبوأته، كنت أبحث عن هؤلاء، الكارهين لكل تميز، السافلين وأعينهم، وسقطت روسيا بالفعل.

قال مدير المخابرات، ولكن من الذى وشى بك عندى أيامها، ابتسم إيفان وهو يضع الكارت الأخير ليكسب العشرة، كده خلاص، قفلت، عد اللى معاك، راحت عليك، قال مدير المخابرات بعصبية، أجبنى، قال إيفان، الذى أرسل لك التقرير، زوجتك، لقد كانت هى الأخرى تعمل معنا.

محدش فاهم فهمى

دخل فهمى فهمان على رئيس التحرير، وفى يده الموضوع، وجهه محمر من فرط الانفعال، ولكنه يتقدم نحوه بخطى ثابتة، ممتلئة بالثقة، والإصرار، والإنجاز، ولا يؤخر رجلاً ويقدم أخرى كما كانت عادته حينما يدخل عليه، استقبله رئيس التحرير بفتور برغم أنه لاحظ ما يبدو عليه من انفعال، وقال: خير؟ قال فهمى: خبطة!! خبطة صحفية يا أستاذ، اتفضل، أمسك رئيس التحرير بالموضوع وقرأ المانشيت "شحاذ يرث ثروة ضخمة ومع ذلك يصر على الاستمرار فى عمله" يبتسم رئيس التحرير، ويقول، حلو ده، ثم يضع الموضوع على المكتب ويسأله، إيه التفاصيل، كم المبلغ الذى ورثه هذا الشحاذ؟! وصمت فهمى قليلاً ليزيد التشويق، ثم يلقى بالقنبلة، ألف ومتين جنيه، فشخط فيه رئيس التحرير وقال ألف ومتين جنيه ثروة ضخمة، دول ملاليم!! ما هو لازم يرجع يشحت تانى، فقال فهمى، ألف ومتين جنيه ملاليم يا أستاذ، فاغتاظ رئيس التحرير وصرخ فيه، إنت مش عايش يا ابنى، فأجابه فهمى، كده أبقى أنا مش عايش يا أستاذ لأن

راتبى ٧٩ جنيهًا. هنا قال له رئيس التحرير: أتسمى هذه خبطة صحفية، وخبطه بالموضوع على دماغه فى غضب.

وخرج فهمى من عند رئيس التحرير وقد نقل من قسم التحقيقات، وقال لى، أحسن، مادام محدش فاهم قيمة موضوعاتى، سأكتفى بالمقال الأسبوعى الذى حرمت منه لسنوات، الناس فى الشارع تسألنى فين الباب بتاعك، إذا لم تعد لكتابته، لن نشترى المجلة. قلت له: الناس تسألك فى الشارع؟! همس فى أذنى وكأنه سيدلى لى بسر خطير كلام بينى وبينك، أنا عرضوا عليا أمسك رئيس تحرير، ورفضت، قلت له ولماذا رفضت؟ أجاب بعظمة، الجو ده مش جوى، المناخ ده مش المناخ اللى يطلع فيه فهمى فهمان، هل تقرأ ما يكتبه الزملاء، سطحية، تفاهة، ادعاء، أنا لامؤاخذة بأه، الشخبطة اللى بشخبطها ع الورق، بميت مقال من اللى بالى بالك دول، ده أنا مرة كنت بأحاور سكرتير المجلس المحلى فى بلدنا، بأعمل معاه موضوع، وعاديك ع اللى عملته فيه، قلت له بانتباه، عملت فيه إيه؟ أجاب رزعته السؤال الأولانى داخ. قلت له يا سيدى، استمر بحماس وقال روحت داخل ع السؤال الثانى، فى العضم، راح مفرفر منى، لسه ح يجاوب، روحت لاسعه سؤال، جبته لمس أكتاف، كان حتة موضوع!! فسألته وماذا كان رد فعله بعد أن نشر، أجاب باستياء ما نشروهوش يا سيدى، قال إيه ما يهمش حد، شفت حقد وسواد كده فى حياتك، موضوع لسكرتير مجلس محلى، ما يهمش حد، قلت له: وأين تقع هذه

البلدة، فأجاب، هيه جنب القناطر، مش فى القناطر نفسها أنت تسيب باسوس، وتعدى الجامع اللى ع الطريق فين بتاع العصير؟ آدى بلدنا، ويقولولى ما تهمش القارىء!!

وظل فهمى فهمان يتصور أنه جاء فى زمن غلط، وأنه خسارة فينا، وظل يكتب مقالات فى موضوعات لا يفهمها إلاَّ هو، ولا يقرأها إلا هو برضه، ولكنه فى الجلسات كان يصف أثر هذه المقالات وكأن مظاهرات تسير فى ميدان التحرير من أجل كتاباته، وكثيرًا ما كان يهدد - فى غيبة رئيس التحرير بالطبع - بأن يتوقف عن الكتابة حتى تقع الجريدة، ولا يشتريها أحد، وكان يصف قراءه بأنهم كالخاتم فى إصبعه، ما تقرأوش ده، ما يقرأوهوش، وكان يتخيل معارك وهمية بينه وبين كبار الكتاب فى مصر، ويقسم أنهم يحاربونه، ويتآمرون عليه، وبالذات مصطفى أمين وأخوه على أمين، باعتبارهما يعنى - من وجهة نظره - جت معاهم كده.

إلى أن كنا ذات يوم نتصفح الجريدة، ومررنا على مقاله الذى كتبه عن نظريته الجديدة فى الأمن فى الشارع المصرى، وكدنا نقع من على الكراسى من فرط الضحك من سذاجة ما كتبه، وقام أكثرنا شرًا ورفع سماعة التليفون وطلبه، ألو، أكلم الأستاذ فهمى فهمان أنا مدير مكتب وزير الداخلية، (وكتمنا الضحك بالعافية) الحقيقة إحنا بنهنيك على مقالك الأخير وسيادة الوزير أكيد ح يضع اقتراحاتك دى نصب عينيه، ووضعنا السماعة، وانفجرنا فى الضحك، فى اليوم التالى التقينا به فى الجريدة، كان متطاوسًا ومنفوخًا بصورة ليس لها مثيل، وكان

يبدو عليه كأنه يحتفظ بسر خطير، ولما فاض به قال: إمبارح كلمنى وزير الداخلية، طاير بالمقال بتاعى، بس عاوز يقعد معايا نتكلم، مش لاقى دقيقة فاضية، وكنا نحبس الابتسامة بصعوبة وفهمى يعاملنا، وكأن فى يده مقاليد الأمور كلها، وصارت جملة دائمة لا تفارق فمه، يضع يده على كتفى ويقول، محتاج حاجة صحيح!! قول، أكلملك أى حد، كلهم حبايبى، ويكتب فهمى مقالاً آخر عن الفن التجريدى لا يفهمه سواه، ويرفع صديقى الشرير سماعة التليفون، ألو. هنا مكتب وزير الثقافة، شيء رائع مقالك النهاردة يا أستاذ فهمى، حقيقى إبداع، ونلتقى بفهمى بعد ذلك، الذى ينتفخ أكثر وأكثر، ويتركنا على عجالة، لأنه معزوم على افتتاح الأوبرا مع السيد الوزير، وظللنا هكذا، نكلمه على ألسنة المسئولين والمشاهير، ونكون له رأى عام مزيف، إلى أن صعب عليا، وأجبرت صديقى أن يكف عن لعبته الشريرة، وتوقفنا عن مكالمات فهمى فهمان، إلى أن جمعتنا جلسة بعد عدة أشهر، فى أحد المقاهى بالليل، وكنا نتكلم عن أزمة العراق الأخيرة وواجهته بأن مقاله فى هذا الموضوع ليس له أى معنى ولا تطلع منه بأى حاجة، هنا انفعل وثار، واتهمنى بالأمية، والجهل، ثم وقف وهو يلتقط أنفاسه وقال: إذا كان كوفى عنان مكلمنى بالليل وطاير بالمقال، كفايه ده، رأيك ما يهمنيش، وأدرت نظرى باحثًا عن صديقى الشرير الذى لاحظت أنه أبيض شعره، وأسمر قليلاً ويومىء برأسه بابتسامة خبيثة، الخالق الناطق كوفى عنان.

غلطة، ومش ندمان عليها!

فى المقال السابق حدثت بعض الأخطاء المطبعية، كنت أكتب مقالاً عن بلاد كوش والسلالة الحامية، ومقالاً آخر عن الشارب مستعرضًا الشوارب المختلفة التى لفتت انتباهى عبر التاريخ، ولسبب لا أعرفه نطت فقرة من المقال الأول واتزحلقت ودخلت فى المقال الثانى، وانفجرت فى الضحك وأنا أقرأ، يبدو أن عدوى الطققان سرت وانتشرت منى إلى المطبعة نفسها، وتصورت تعليقاتكم يا أعزائى وأنتم تقرأون، ده بيكتب وهو نايم، ده مخه ضرب، ده بيهلوس، إلى أن جاءنى تليفون رقيق من قارئة عزيزة كثيرًا ما تتحفنى بآرائها فى مقالاتى، وقالت بأهنيك ع الموضوع. قلت لها معتذرًا، مرسيه، بس، فقاطعتنى قائلة، الحلو فى المقال إنك عملت ربط بين الموضوعين، كانت تقصد الفقرة التى نزلت غلط فى المقال الثانى، فقد تصورت إن أنا قاصدها، وليست غلطة مطبعية وشكرت فيما بينى وبين نفسى "العمدة" كبير مصححى دار الهلال، مش عارف أودى جمايلة فين؟.

وحدث أننى كتبت مسرحية ذات يوم وأرسلتها إلى الآلة الكاتبة لأطبعها، وجاءتنى بروفات المسرحية، وقرأتها، وأعجبتنى جدًا، فقد كانت أول مرة أقرأها فى الحقيقة، الهانم التى تكتب المسرحية كان لها آراء درامية مختلفة تمامًا عما كتبت، أسماء الشخصيات تغيرت، والحوار، واقترحت عليها أن تكتب على الغلاف اسمها هيه، كل واحد ياخذ حقه، والجدير بالذكر أن المسرحية التى كتبتها عاملة الآلة الكاتبة كانت متأثرة إلى حد ما بأسلوبى فى الكتابة.

وكثير من الأخطاء فى حياتنا نتقبلها، ونحبها كما هى، فى المسرح مثلاً، إذا دخل ممثل مندفعًا كما يستلزم دوره، وسقط دون ترتيب، وضحك الممثلون والجمهور أيضًا، يقوم الممثل بتثبيتها، فيقع كل يوم فى دخلته، ويتظاهر بأنه يسقط فى كل مرة، ويتظاهر الممثلون بالمفاجأة والاندهاش ويضحكون، ولكن تظل سقطته الأولى الطبيعية أحلى ألف مرة، وكل السقطات التى تليها ما هى إلاَّ سقطات.

ولكن هل يمكن أن تكون الأخطاء المطبعية متعمدة؟! آه، ممكن، كان فيه ناقد عظيم اسمه برسى هاموند (احتمال اسمه يكون نازل غلط فى المطبعة، أنا ماليش ذنب) كان هذا الناقد المسرحى إذا أراد إيذاء أحد فيما يكتب، فكان يتعمد أن يغلط فى الاسم وكان يكتب على هامش الموضوع تحذيرًا لمصحح البروفات من أن يصحح الاسم، فإذا أراد أن ينقدنى مثلاً، يقول أما المؤلف يونس عبد العاطى

فى روايته الأخيرة، وينهال عليه تجريحًا وبالطبع يستاء أى منا إذا رأى اسمه مكتوبًا بشكل خاطىء، وكان هاموند يسره جدًا أن يشعر الفنان بغيظ وفرسة والجمهور يحب الغلطات، فى التمثيل بالذات ربما لأنه زهق من كم التمثيل الذى شاهده طول حياته، ولـذا ينجح برنامج بدون مونتاج ويتابعونه بشغف، وربما يأتى يـوم يغلط فيـه الممثلون بتعمد عمال على بطال، لإمداد البرامج التى تعرض أخطاء الممثلين أثناء التصوير بفقرات جديدة، وسيرتفع سعر الممثل الذى يخطىء فى المشهد ويعيده، وسيتقاضى الممثل ألف جنيه عن الساعة التى يمثلها، وألفين عن مجموع أخطائه فيها.

وفى الجرائد تحدث أخطاء مرعبة، نتج عن إحدى هذه الأخطاء أن الممثل الكبير الفنان الرائع عبد العظيم عبد الحق توفى مرتين، فقد نزل خبر وفاته بطريق الخطأ فى الأهرام قبل وفاته بأكثر من عشرة أعوام، وأثار خبـر وفـاته ضجة جعلت الرئيس السادات شخصيًا يكلم البيت ليعزى فيه، فكان الذى رد على التليفون هو المتوفى شخصيًا، وانزعج السادات حينما سمع صوته وسأله فى غضب، أمال بيقولوا إنـك مـت، فأجاب "عظمة" أنا ربنا بيحبنى عشان عشت وأخذت عزايا بنفسى ياريس، وكأن عظمة كان قلبه حساس لأنه رحل بخبر صغير فى عمود بإحدى الجرائد لم تكن له نفس الضجة التى كانت للخبر الأول الخطأ.

وفى الاتحاد السوفيتى، جلس رئيس تحرير صحيفة واضعًا رأسه فى يديه، سيجن، يجب أن يسلم العدد إلى المطبعة، وليس أمامه موضوع واحد، لا يوجد واحد من المحررين، وزوجة سكرتير التحرير بتولد فى المستشفى، وكاتب التحقيقات الوحيد فى الصحيفة تركته حبيبته، فظل يشرب فى البار حتى فقد وعيه، ظل رئيس التحرير يفكر، هل أنتحر، أم ماذا؟ هل يمكن ألا تصدر الجريدة فى الغد؟

وفجأة دخل عليه شاب ممتلىء بالحيوية والنشاط، يلوك لبانة فى فمه، يبتسم بلا داعٍ، وتتحرك مقلتا عينيه طوال الوقت بذكاء خارق وإشعاع غريب، وقدم نفسه فى كلمتين، كاتب مقالات حر، أكتب فى الحوادث، وفى الفن، وفى الاقتصاد، وفى الرياضة، وفى المرأة، أتقاضى عن الحتة خمسين روبل، استاء رئيس التحرير حين سمع كلمة "الحتة" وقال فى قرف، تكتب بالحتة!! لم يضايق ذلك كاتب المقالات الشاب على الإطلاق، وسأله: هل عندك مشكلة فى عدد بكره قال رئيس التحرير بيأس، عندى مشكلة بسيطة، العدد كله، ليس عندى موضوع واحد.

أجاب كاتب المقالات ببساطة لا عليك، لقد كنت أجد المخرج من مواقف أصعب بكثير، وشمر ساعديه وقال، ادينى عدد إمبارح من الجرنال، تصفحه بسرعة، ثم أخرج مقصًا من جيبه وقص الافتتاحية وقال: امسك، هذه هى الافتتاحية أجاب رئيس التحرير مندهشًا

أنشرها مرة ثانية، أجاب الشاب، وفيها إيه، ولنفترض أنك قلقان من الحكاية دى، من الممكن تعديلها قليلاً، نأخذ هذه الجملة من نهاية الافتتاحية ونضعها فى البداية، أما البداية فنضعها هنا، فى الخاتمة، واندهش رئيس التحرير، سوف يلاحظون ذلك، أجاب الشاب بثقة: ومن يقرأ الافتتاحية يا أستاذ هو حد دريان بحاجة؟!! إدينى قلم رصاص، وأخذ يعدل بهدوء. واعترض رئيس التحرير، ولكن اسمح لى، وأجاب الشاب، بماذا أسمح لك، هذه هى الصفحة الأولى، وننشر هنا فى الأسفل مقالة نقدية لا تقلق فى جيبى عشرات منها الآن نشرتها فى مجلات كثيرة، ولم يقرأها أحد، فى الصفحة الثانية ح ننشر تقرير عن المؤتمر الاقتصادى، وصرخ رئيس التحرير، أى مؤتمر يا بنى، أجاب الشاب بهدوء أى مؤتمر، لابد أن هناك مؤتمرًا اقتصاديًا منعقدًا فى مكان ما، يكفى فقط أن تتكلم عن الإصلاحات والأفكار المستقبلية واكتب كلمة "آفاق" هذه الكلمة مهمة جدًا فى المؤتمرات، وهذه صفحة أخرى بالنسبة للمشهد السياسى سنكتب هنا عن الشفافية والحراك السياسى لا تنظر نحوى، كل المقالات السياسية تكتب فى ذلك.

وشعر رئيس التحرير بأنه منقاد مغناطسيًا نحو الكاتب الشاب، الذى لا يهدأ ثانية، وهنا بقى، أخبار الفن، طلقت الفنانة فلانة من الفنان الفلانى، بعد مشاكل دامت أربع سنوات، أجاب رئيس التحرير، ولكن هذا لم يحدث، ويرد الكاتب الشاب ليس مهمًا،

سنكذب ذلك فى العدد القادم، ونعمل لها موضوع بصور، وهتف رئيس التحرير به ساخرًا، ألا تنوى أن تؤلف لنا حوادث لننشرها فى قسم الحوادث؟ ابتسم الكاتب الشاب، وقال: وهل تتصور أنها تفوتنى، صدمت سيارة مسرعة طفلاً صغيرًا كان يبيع الذرة ويعبر الشارع، وهرب صاحب السيارة ولم يتعرف عليه أحد، رفقًا بأطفالنا!! حلوه دى إن هذا يعطى الحادث مضمونًا اجتماعيًا، وخذ هذا المانشيت، سرقة شقة بكامل محتوياتها، وتتألف العصابة من مجموعة من الشباب الذين ينتمون لأسرات راقية، مسئولية الأب أم الأم؟ وهنا نضع بعض الإعلانات، وهنا فقرة طريفة، نكتة، لسه سامعها دلوقت، ويحكى النكتة ولا يبتسم رئيس التحرير، هو، فقط الذى يضحك هذا الكاتب الشاب الطاقق، ويكتبها ويضعها تحت عنوان طرائف، هكذا أصبحت الصحيفة جاهزة، ونهض الكاتب الشاب وأخذ مائة روبل بعد فصال، واختفى كالشبح من أمام رئيس التحرير المكتئب، الذى كان يكلم نفسه أيهما أفضل، ألا تصدر الصحيفة من أساسه، أم تصدر على هذا الشكل؟ إذا لم تصدر ستحدث فضيحة وإذا صدرت ستكون فضيحة أكبرثم قال لنفسه لأصدرها، ويحصل اللى يحصل وأرسلها إلى المطبعة وغادر مكتبه هاربًا إلى البيت، فى الليل، كان نومه متقطعًا، قلقًا، ورأى كوابيس مريعة رأى القراء وهم يهدمون الجريدة عليه، ورأى النيابة وهى تحاكمه.

فى الصباح الباكر، أسرع إلى الصحيفة، ودقات قلبه عنيفة متواصلة، وجلس يترقب بذعر رنين الهاتف، أمسك سماعة التليفون بأعصاب منهارة وهو يكاد يفقد الوعى ألو، هيئة التحرير بالجريدة إزيك يا أستاذ، بأهنيك ع الافتتاحية النهاردة، تحفة، أول مرة أحس أنك بتكتب من قلبك، واللى عاجبنى فيها الجديد، أنت جديد فى كل حاجة، أنا فلان الناقد الصحفى،

ويضع رئيس التحرير السماعة وهو يكاد يفقد عقله، بعد ساعة تليفون آخر من الفنانة ألو، أنا استغربت جدًا انكوا نشرتوا خبر الطلاق، محدش فى الدنيا كلها كان عارف الحكاية دى إلا أنا وطليقى، عمومًا مرسيه، وأنا لازم أجى عشان أعمل موضوع، ويضع السماعة، ويجرى ليضع رأسه تحت الحنفية، دماغه يغلى، يدخل أحد الأصدقاء ويقول: إن عدد اليوم من الجريدة، ممتع جدًا، والأهم أنه ملىء بالأخبار والشئون المحلية التى تهم الناس. لم يستطع رئيس التحرير، أن ينطق بكلمة، ويرن جرس التليفون، من الداخلية كتبتم فى جريدة اليوم يا أستاذ عن حادث الصبى الذى قتلته السيارة المسرعة وقلتم إننا لم نمسك بالقاتل، هذا غير صحيح يا أستاذنا، نحن أمسكنا به بالفعل وسنواليكم بالتفاصيل.

أعزائى: هناك أخطاء كثيرة فى حياتنا، يمكن إصلاحها، وأحيانًا أخرى يفوت عليها الأوان، ولكن أحيانًا تسهم الحياة فى إصلاح

أخطائها بنفسها، بدون أى تدخل من جانبنا، ولذا أنا لا أنسب روعة مقالى هذا لى أنا وحدى، وإنما إلى هؤلاء الذين يفكون رموز خطى البشع بإضافاتهم البديعة، التى تعجبنى أشد الإعجاب.

الكلامو عليكم!

كم الجرائد التى أحملها تحت ذراعى وأنا عائد كل يوم إلى البيت، تؤهلنى مع تغيير طفيف فى ملابسى وبإضافة نظرة يملؤها الغلب والانكسار على وجهى، لأن أكون بائعًا متجولاً للجرايد، أبيعها على النواصى لسائقى السيارات، وزبائن آخر الليل، تستقبلنى أمى بابتسامة عريضة وهى ترى الجرائد تحت إبطى، فتتخيلها بحنانها الجارف بعد قراءتها وقد أصبحت مفرشًا تضعه أسفل الأطباق، لتحمى المنضدة، لا أعلم تحميها ممن؟ ولأنها هى التى ولدتنى، تتصور أننى لازلت لم أتخلص من عادة تساقط الأكل من فمى، وتلبيخ الدنيا من حولى، فأنا فى عينيها لم أكبر بعد، برغم أنها تشهد لى أننى الآن أذهب إلى الحمام بمفردى ودون مساعدتها نهائيًا، أضع الجرائد أمامى، كالجائع الذى سقط على خروف مشوى، ويسيل لعاب عقلى، وأنا أسن أسنانى، أبدأ بماذا؟ كل هذه الإصدارات مئات المقالات، وآلاف العناوين والأبواب والأعمدة، وأنا مثل الكرة الطائرة، يتلقفنى هذا

الكاتب، ويلقى بى إلى ذاك، ولكن، الصوت عالٍ جدًّا، جدًّا يخرق الأذن، الهجوم عنيف على كل شىء واللهجة، بها إحباط وكآبة، كلنا أصبحنا قضاة والحكم هو الإعدام رميًا بالكلام، إذا تكلمنا عن السينما، نقول أزمة السينما.. وانحدار المستوى، الأفلام التجارية والسوقية والمقاولات، وإذا أشرنا إلى المسرح، الألفاظ والتعبيرات جاهزة، المسرح السياحى.. مسرحيات الرقص والخلاعة والعرى والألفاظ الجارحة والخروج عن النص، وانهيار المسرح المصرى، وإذا عدينا كده فى طريقنا ع الأغنية الهابية، (قال يعنى إفيه ودمنا خفيف) والأصوات المخنثة والمطربين الذين يجرون وراء المال والشهرة والأضواء، قال يعنى عبد الوهاب كان يجرى وراء الفقر والظلام، كان يحلم أن يكون مغمورًا، أتصفح الجرايد، كلام، وكلام، وكلام، ولكنه كلام من نار، من ديناميت، لنترك الفن، يغور، أنا اتخنقت خش على غيره، المياه غير صالحة للشرب، مياه النيل خلاص كل سنة وأنت طيب، فيه معزة ميتة فى النيل، وأيامنا اللى جاية سودة كلها، بلاش الميه، مش شارب، دودة الفاشيولا تعود إلى الخضروات، احترس من الخس، من الجزر، من الفجل والجرجير، مش واكل خضار يا ولاد الأرندلى، لا أنا شارب ولا واكل سيبتوا مفاصلى.

ويضحك منى الكاتب فى سخرية، ويعلو صوته فى الجريدة، والهواء يا أيها القارىء التعس الهواء يابا، هل تعلم أنه ملىء

بالرصاص، وثانى أكسيد الكربون، أنت تعيش فى شكمان عربية، آه تنسد أنفى، وتلتهب الجيوب، أنتقل إلى عمود آخر وكاتب آخر، أريد نسمة هوا، أرحمونى، ويعلو صوت الكاتب، استنى هنا، أنت رايح فين؟ ألم تقرأ عنوان مقالتى أيها الأعمى، تعالى هنا، هل تريد أن تمر على مقالتى مرور الكرام، شغال بواب أنا فى الجريدة، أقرأ.. شوف أنا كاتب إيه؟ أكثر من ألف حالة جديدة فى مصر لمرضى الإيدز، والسبب فتاة عاهرة تقف أمام محل فى مدينة نصر، تصطاد الشباب من دول، تأخذه على الشقة، تنقل له المرض، وتسيبه، وترجع تقف قدام المحل، عندها تلات دوريات فى اليوم، أتركه فى نصف المقال ومدينة نصر دى مش ح هعتبها يا عم أرحمنى، أنا مش ناقص، إيدز إيه ع الصبح؟!

يتلقفنى الكاتب الآخر، والآخر هذا كاتب من نوع خاص، كاره للحياه ولنفسه وليا، ولحضراتكو كمان وهو لا يراها إلا سوادًا لا مش سواد، كحلى، أصل الكحلى أبشع من الأسود شوية كمان، وهو يكره الأغنياء المرفهين المبسوطين كره العمى، ويلعن القصور والسيمون فيميه ثم ينهى مقاله دائمًا النهاية الفلسفية الميلودرامية الساخرة، وهى أن مفيش فايدة، وما معناه يا رب خدنا وريحنا من العيشة واللى عايشينها.

شكرًا جزيلاً يا عزيزى، قرأت بابك والحمد لله كرهت حياتى تسمح لى بأه؟! أتسلل فى هدوء وأدب من قدام بابه، وإلا رزعنى مقالاً أنا راخر، برغم أننى عمرى مادقت السيمون فيميه ده ولفترة

غير بعيدة كنت أعتقد أنه سيفون فيميه، يعنى من الأدوات الصحية، وكنت موصى على واحد بالبيديه وبالقعدة.

ندخل على عمود آخر، شكلنا هنا ح نرتاح شوية، يقول الكاتب، أين نحن من بلاد برة، شوارع بره يغسلونها بالشامبو، تبرق.. وشوارعنا خرابات، عمائر بره، من الكاتلوج، وعمائرنا بالية.. متداعية.. وهكذا، هو يتكلم عن برة، وعايش برة ولا أعلم لماذا لا يكتب مقاله هذا برة مش جوه، أنا ناقص عقد وكلاكيع، ده أنا اللى فيا مكفينى، بعد إذنك.

أتصفح الجريدة وأنا ألهث بعد ما فعله فيا السابقون، أبحث لى عن أى جديد شبكة ولا شبكتين اتمسكوا ولا حاجة، ومعاهم س ع، ومعاهم كمان الفنانة المشهورة ع. ك وأقعد أنا بقى مع نفسى وأمامى طبق فيه خيار وأنأنأ، وأمزمز به وأقرأ. أول حرف ع، يا ترى مين؟ عطيات؟! عدلات.

وكأننى أحل الكلمات المتقاطعة، ارفع سماعة التليفون، ألو، أيوه يادرش، ممثلة أول حرف من اسمها عين، وأول حرف من اسم أبوها كاف، آه، إيه، عيب كده!! معقولة فى ممثلة اسمها كده، عيب، آه، أنت بتقوللى أنا، أقرأ الأرقام، ع. ك وحدها تتقاضى فى الليلة ٢٠ ألف جنيه، أقضم قطعة من الخيارة وأحسب، يعنى دخلها فى الشهر، نضرب فى ٣٠.. لأ.. نضرب فى ٢٥ عشان ما نظلمش ما هى أكيد ح

تريح برضه، و.. ما هذا، وما كل هـذا العبث؟ وابن يقتل أمه، وأب يغتصب ابنته، وحرائق وانهيار منازل، وانهيار ضمائر، وشخصيات كانت ملء الأسماع والأبصار، فجأة، فى لحظة تنزع الغلالـة الرقيقة، لنـرى حيـات وثعابين، وديدان، وأشياء رهيبة.

وأنا، فى كل هذا، عيناى مبرقتان كالأهبل فى الزفة، كالذى أخذ ثلاثين قفا على سهوة، انظر هنا ثم هنا، ثم هناك الصورة قاتمة، قاتمة.. بلاك.. نريد.. بصيصًا من الضوء.. بارقة أمل.

عاوزين نفس، مش اللى بالكوا منه، نتنفس يعنى، عاوز اتنفس شوية أكسجين، شوية أكسجين، ح اتخنق، ح اتخنق، انت اتهبلت، حد يتغطى بالجرايد؟!

كان هذا هو صوت أمى التى دخلت الحجرة، لتجدنى نائمًا أسفل الكم المهول من الجرائد والمجلات وقد كتمت أنفاسى.

النق، والنقد، والنكد الفنى

جلس على مقعد فى الصف الأمامى من صالة المسرح، مرتديًا باروكة سوداء فاحمة، لا تتناسب مع التجاعيد التى فى وجهه وبدلة لا تناسب أى شىء لا الزمان ولا المكان ولا الحدث، وأخرج بلوك نوت وقلمًا ووضعها أمامه فى تحفز، وبدأت المسرحية، وبدأ هو عمله. المسرحية شغالة وهو شغال الله ينور مستمرًا فى الكتابة، وقد ألقى عينيه وقلمه وتركيزه كله فيها يكتب، وحتى حينما يسرح بعيدًا لكى يأتيه الإلهام لم يكن يعطف على العرض المسرحى بنظرة وإنما كان ينظر إلى السقف، سقف المسرح لا هو ليس كاتبًا عزيزى القارىء، وإنما هو "ناقم" فنى أقصد "ناقد فنى" والناقد فى بلادنا (أعنى فى العالم الثالث) يجب أن تكون له مواصفات خاصة لكى يحصل على اللقب، (ناقد فنى).

فلا تأخذنك الجلالة، وتتصور يومًا أنك يمكن أن تكون ناقدًا لأن

المسألة مش سايبة، ولأن شروطًا كثيرة يجب أن تتوافر فيك لكى تصبح نافذًا:

أولاً: يجب أن تكتب للمسرح عدة مرات وتفشل، أو تنجح نجاحًا منقطع الجماهير، فالكاتب الفاشل مشروع ناقد فنى.

ثانيًا: يجب ألا تكون عندك روح رياضية، أعنى يجب أن تتحلى بالحقد والغل الفنى، حتى تصفى حساباتك الشخصية مع الناجحين.

ثالثًا: إياك أن تكون موضوعيًا، فالنقد انطباع ذاتى شخصى فردى يدخل فيه كل شىء، حتى لو كانت المسألة كلها أن الحذاء كان ضيقًا بعض الشىء وماسكًا على الإصبع الكبيرة للقدم عند البوز أثناء مشاهدتك للمسرحية، أنت حر فالناقد له الحق فى أن يعبر عن شعوره الشخصى وقت مشاهدته المسرحية.

قلت له وهو منهمك فى الكتابة والممثلون منهمكون فى التمثيل، والجمهور منهمك فى المشاهدة. يا أستاذ ألَّا تعطلك الكتابة عن متابعة العرض؟ قال فى ثقة، أنا أشوف المسرحية بقفايا.

وهنا أدركت أنه جلس فى المكان الخطأ وأنـه يجب أن يجلس على كرسى مـن نوع خاص ظهره للمسرح، ووجهه فى اتجاه باب الخروج حتى يتسنى لقفاه أفضل رؤية ممكنة.

المفروض أن العرض الذى يراه صاحبنا كوميديًا، والذى دل على هذا اندلاع الضحكات والقهقهات من الحاضرين، لكن الذى جعلنى

أشك فى كوميدية العرض وجه صاحبنا المتقع (المكفهر) إلاَّ من حالات غريبة من الضحك لا ليس الضحك، فتات الضحك، أشبه بالحالة العصبية بعيدًا عن السامعين كان يضحك هكذا، هىء.. هىء.. بالعدد اثنان هىء ثم يعقبها هىء أخرى، وكان توقيت ضحكه أيضًا غريبًا، لم يكن يضحك بعد النكتة مباشرة كما هو المعتاد، أو مع ضحك الجمهور. لا إنها مثل التوابع ضحكة رزلة ليس لها وقت وغير محدد قوتها، كل هذا كوم وأن تجلس مع مجموعة من النقاد، فهذا كوم آخر، استمع إلى ما يقولونه عن المسرح ألفاظ وتعبيرات وجمل اعتراضية وغير اعتراضية، تجعلك تكره سوفوكليس ويوربيدس وشكسبير، وكل من سولت له نفسه الشريرة أن يكتب للمسرح.

حينما ظهرت السيريالية وجدت لها مهللين ومدافعين بالزوفة، وكانت اللوحة العجيبة التى هى عبارة عن شخبطة فنية، والألوان التى لا تعرف هل هى صلصة مكرونة سقطت على اللوحة، أم تفل الشاى؟ أم أثار التبغ؟ كانت اللوحة هذه هى محور الاهتمام ووقف الناقد السيريالى أمام اللوحة السيريالية، بعد أن أخد نفسًا عميقًا من غليونه، وداعب ذقنه الطويل بأصابعه، ثم نظر إلى الدخان المتصاعد من فوهة الغليون وقال: هذه اللوحة تنبىء بسقوط الفكر الرأسمالى وسيادة الشيوعية والفكر الاشتراكى، وكانوا من هم خلفه يدونون الدرر التى يقولها، وأضاف تلك هى المرحلة التى وصل فيها الفنان إلى

قمة النضج، إنها المرحلة التى أفرز فيها معاناته وتجربته، وصب فيها ثقافاته كلها وخبرته، وهنا ألقى الفنان صاحب اللوحة بقنبلة، أى ثقافة، وأى تجربة وأى شيوعية، إن هذا النسناس العفريت هـو الذى رسم هـذه اللوحـة أثناء غيابى عن الأتيليه، وأدار الجميع وجوههم ليجدوا نسناسًا يعبث بمجموعة من الأوراق، وبقايا الألوان وكان يتبول على إحدى اللوحات، وقد وصل إلى قمة النضج الفنى.

فأروعنطزة

كلما نظرت إلى أكوام المقالات والكتب التى نشرتها، أجد أنه من الحماقة أن أكتب مرة أخرى، ولكن يا أعزائى ـ لنكن صرحاء هذه المرة ـ لا يعيدنى إلى الكتابة، فى كل مرة إلاَّ أن لها لذه تفوق الوصف، فلا أنا أبغى أن أفيدكم بغزير معلوماتى وخبراتى، ولا ما أكتبه جديد يسليكم أو يدهشكم.

المسألة فقط أن عملية الكتابة ذاتها عملية ممتعة حقًا للكاتب، وتفوق متعة القارىء ملايين المرات، إذا كان هناك متعة للقارىء من أصله، ولا تصدقوا، أكاذيب كبار الكتاب عن معاناة البحث عن الفكرة، والشمعة التى تحترق لتضىء للآخرين، بل إن مهنة الكتابة تضفى على صاحبها شهرة لا يستحقها، ومكانة كبيرة لا يستأهلها، وكثيرًا ما أرى رجالاً رفيعى المقام عظيمى الجاه، يستمعون فى خشوع واحترام وكأنهم منومون مغناطيسيًا لآراء كاتب، قد يكون أقل منهم

معرفة بكثير، لا لشىء سوى أن له كتابًا أو مقالاً منشورًا، وقد غمرنى البعض بالهدايا والتبجيل، لمجرد أننى جلست معهم برغم أننى لم أقل فى الجلسة شيئًا له قيمة، فهذه علبة أبنوس فاخرة نقش عليها اسمى بماء الذهب، أتانى بها أحدهم وهو يقسم أنها مش قد المقام، وهذا قلم فاخر أعطاه لى أحدهم وهو يثنى على كتاباتى، ويتمنى أن يحظى بشرف أن أقبل هديته، لماذا يفعلون ذلك؟ إن مهنتى ليست أكثر من وضع الكلمات بجوار بعضها، لتؤدى إلى معنى قديم سبق أن عرفناه كلنا قبل ذلك، أى فكاكة فى هذا؟ وهل يجدر بى أن أضع نفسى فى مكانة أعلى من صانع السجاد؟ أو نجار الموبيليا أو ميكانيكى سيارات؟ ينظر نحوى بإنبهار ساذج، وكأنى باجيب التايهة مصرًا على أن ينادينى بالأستاذ فلان، إنها خرافة كبرى كلنا مسئولون عنها.

انظروا مثلاً إذا تحدث رجل فى مجلس أمامنا لا نهتم به ولا نعطى لكلامه أى أهمية، إلى أن نعرف أن هذا الرجل وضع كتابًا أو له مقال فى إحدى الجرائد، هنا فقط نستمع إلى كلامه بلهفة وشوق واهتمام ولذا فإننى أنصح النقاد بإهمال المؤلفين والتوقف عن الثناء عليهم ومدحهم، لأن هذا يزيد الطين بلة، فهم أنفسهم صاروا يصدقون الكذبة، اشتموا الكُتَّاب، وهاجموهم وامسحوا بهم البلاط، ولا تخشوا شيئًا، لن يحبطوا ولن يهدموا، فلا توجد قوة فى الأرض بأسرها تستطيع أن تمنع مؤلفًا من التأليف أو كاتبًا من الكتابة، إنها لعنة، مرض

مزمن، والكاتب فعلاً لا يجب أن يمدح إلاَّ بعد وفاته، فهذا شكسبير مثلاً بالتأكيد هو مرتاح فى قبره الآن، إن الناس يغفرون للناجح ألاَّ يكون موهوبًا، ويغفرون للموهوب ألاَّ يكون ناجحًا، ولكنهم لا يغفرون للناجح أن يكون موهوبًا أيضًا.

والكاتب يبدو فى الحياة مثل المحتل الذى استعمر العقول، دون أى مناسبة، انظروا إلى بعضهم وهم يتحدثون فى التليفزيون، أو يكتبون فى الجرائد، وقد وضع كل منهم رأسه على كفه فى ألاطة وعنطزة وهو ينظر بعمق وتأمل مفتعلين، نحو الصورة أو نحونا، تلك النظرة التى تؤكد لنا أننا جميعًا أغبى منه بكثير، ولكن تأملوا هذا العبقرى، لو البلاعة انسدت فى بيتهم أو الكهربا ضربت، أو الستاير وقعت، تأملوا أنتم بأه الحوسة التى يقع فيها صاحبنا، إلى أن يأتى ذلك الرجل العبقرى بحق "السباك أو الكهربائى"، فيحل المشكلة فى دقائق معدودة.

إن الكاتب يكتب عنكم يا ناس ومنكم يا ناس، فلماذا تضعونه فى مكانة أعلى منكم يا ناس؟! يحدثنا الأساتذة الكتاب عن متاعب المهنة الشاقة وهم جالسون فى الانتريه الأنيق، يتأملون عن بعد، ذلك الرجل الذى يحمل قصعة الأسمنت ويطلع سقالة للدور العاشر وهو يشر عرقًا، وما من كاتبنا العبقرى إلا أن يهرش فى رأسه، ويقول لنفسه، هوه ده!! سأجعل بطل الرواية شغال فى الفاعل!!

ومن سخرية الحياة، أن يتقاضى اللى شال القصعة يومية عشرين أو ثلاثين جنيهًا، بينما يتقاضى اللى شاف القصعة، آلاف الجنيهات عن الرواية التى كتبها، ويحصل على جوائز الدولة.

ولا أروع من تلك الحكاية القديمة التى يرددونها فى الصعيد، عن ذلك الفلاح الفقير الذى دخل عليهم فى المقهى، وقال لهم أن فأرًا خرم صومعة الغلال، وأكل ما بداخلها، فسخر منه الجالسون وقالوا كيف هذا، فأر يخترق صومعة مصنوعة من روث البهائم!!

هذا كلام لا يدخل العقل.

وبعدها دخل الأفندى المثقف ليحكى لهم أن فأرًا اخترق إناء ضخمًا مصنوعًا من النحاس الأحمر، وأكل ما بداخل الإناء فصدقوه، وقالوا ذلك هو الكلام الصحيح، حقًا الفأر يفعل ذلك طبعًا.

ولقد أدركت بعد أن مضى قطار العمر يا ولدى أننى ـ ويا للخجل ـ لا أجيد أى مهنة، وأننى كنت أتفرج على حضراتكم وأكتب ما أراه لحضراتكم، ويا للخجل مرة أخرى أتقاضى أجرًا على ذلك، ويا للخجل ـ لثالث مرة ـ كنت أزعل جدًا حينما يهاجمنى النقاد كمان!!!

سألونى كتير

الرفاق حائرون، يتساءلون، يتساءلون. عذرًا.. لا تتصوروا أننى أغنى ـ لا سمح الله ـ إنما أنا ـ بعيد عنكم ـ أخبط رأسى فى المكتب الآن، وهى عادة سيئة بدأت تظهر على أخيكم منذ عدة أشهر، لا تشغلوا بالكم باستريح بعدها قوى ثم أنها تعفينى من أن أتحول فى لحظة إلى قاتل، هل لاحظتم ذلك؟! إن كل من حولنا لا يجيبون على أى سؤال إلا بسؤال.

هتفت بجارى وأنا نازل: إزيك يا باشمهندس عامل إيه دلوقت؟! فإذا به يرد عليا أنا بسؤال أنت اللى عامل إيه؟! مع أنى أنا اللى سألته، أسأل البواب، لمعت العربية؟! فيرد عليا، أنهى عربية؟ شفتوا تلامة أكثر من كده؟! عربيتى ياتور، هوه أنا عندى غيرها؟! فيرد، أنت عاوزنى أطوقهالك؟! أرد بغلاسة أكتر، لأ العفو، تحب امسح لك أنا السلم؟! فيرد، أنهو سلم؟! أسئلة، أسئلة، تحيط بى من كل جانب تطبق على نفسى، أعطى السكرتيرة المقال لتكتبه على الآلة الكاتبة، ثم

أسألها كتبتى المقال؟! فترد: المقال ده؟!! يا ناس سأفقد أعصابى، أصرخ فيها، أيوه، المقال ده، هوه فيه غيره؟ تسألنى تانى، يعنى مفيش غير ده بأه؟!

أذهب لألحق بموعد فى المقهى جلست وحدى، لا أريد أن أكلم أحدًا، اقترب الجرسون وسألنى، تشرب إيه؟! قلت شاى، هل غلطنا فى ذلك قولنا شاى، فلماذا يرد علينا بسؤال سخيف؟ شاى يا باشا؟! أيوه شاى، وغور بأه، ضحك الجرسون، ثم عاد وقال بالنعناع ولا بالقرنفل؟! قلت له بالزفت، هات شاى وخلاص، ضحك جدًّا وقال والزفت ده بيأه نعناع ولا قرنفل؟! واتتنى رغبة جهنمية فى أن أخبطه بالكرسى على نافوخه، ولم يكبح جماح رغبتى هذه، إلا أننى تصورت أن أحدهم سيتدخل ويسألنى ضربته ليه؟! أخيرًا أتى صديقى لينقذنى من الجرسون والشاى والأسئلة، قلت له تفتكر الأحوال ح تتصلح؟ فإذا به يسألنى أحوال إيه؟! ألا توجد إجابة لأى سؤال يا ناس، الأحول يا أخى الأحوال؟! قال لى، تفتكر أنت إنها ح تتصلح؟! وهل أنا أسألك لتسألنى؟! رن جرس التليفون وإذا بصوت المدام، وهى تتحفنى بمسلسل الأسئلة إياه: أنت فين؟! ومين قاعد معاك؟ وبتعمل إيه دلوقت، مش ح تيجى؟! قلت لها، أنا مخنوق شوية، ما تيجى نروح سينما؟! فسألتنى عاوز تشوف فيلم؟

شفتوا السؤال؟! بما أنى لا أتذكر أننى ذهبت إلى السينما لسبب آخر سوى أنى عاوز أشوف فيلم، فلم أعر سؤالها أى اهتمام، وقلت لها أنا

جاى دلوقت فإذا بها تسألنى ذلك السؤال الفريد من نوعه، جاى البيت؟!!! وضعت المفتاح فى الباب ودخلت فأتانى صوتها من الداخل، إنت جيت؟!!!

ولما كان الباب بابى والبيت بيتى، وأنا الرجل الوحيد فى هذا الكون اللى معايا مفتاح الشقة، فكان من العبث أن أرد على سؤالها وأقول، أيوه أنا جيت.

سألت المدام مش ح نتغدا؟! فردت المدام بسؤال برضه أحط لك الأكل؟! وحتى لا أفقد أعصابى فتحت الباب خارجًا، فسألتنى تانى وأنا خلاص على السلم أنت نازل؟!! قلت لها خارج اتغدا بره مع أصحابى فسألتنى تالت يعنى مش ح تتغدا فى البيت؟!!

شوفوا يا أخواننا، أنا لا ح اتغدا فى البيت ولا ح اتغدا مع أصحابى، ولا عاوز آكل ولا عاوز أشرب ولا أكلم حد ولا حد يكلمنى، أرحمونى أبوس إيديكوا من الأسئلة اللى ما بتخلصش دى.

اعترف لكم : أنا أسرق رواياتى

أعجبكم طبعًا العنوان، ولفت أنظاركم، تريدون أن تشمتوا فى كاتب يعترف بأنه حرامى، حاضر، سأريحكم، وليس معنى اعترافى هذا أننى أنوى الاعتزال، بالعكس، فاعترافى بالسرقه هو نقطة تحول جديدة فى حياتى، من لص خائف من أن يكتشف، وفضيحته تصبح بجلاجل، إلى لص متبجح، يبيع بضاعته المسروقة على عينك يا تاجر.

اعترف لكم بسرقاتى ولا أخشى شيئًا، فكثير من اللصوص الذين سرقوا مليارات مطلقو السراح، ويعيشون بيننا فى أمان، فهل عندكم وقت لكى تتعقبوا سارقى الروايات؟! ثم إن القانون فى صفى، والجريمة كاملة، ولا دليل واحد فى يديكم، ستقولون إن الاعتراف سيد الأدلة، وهذه أيضًا لها مخرج، سأقول إننى اعترفت تحت تهديد، وسأهذى وأخرف وأنكش شعرى، فهل يؤخذ بكلام المجانين!!

تريدون طبعًا أن تعرفوا الروايات التى سرقتها وممن سرقتها؟ العملية غاية فى البساطة، يأتى لى أحدكم، أصلع، كثيف الشارب،

ملظلظ، له ضحكة مجلجلة ويبكى فى لحظة، استقبله بكل ود وترحاب. (لا يستحقهما) وهو لا يعلم أننى أنصب له فخًا، مالك يا عم!! مش عاجبنى كده!! يقول فى أسى: زعلان مع المدام أرسم استياءً مزيفًا على وجهى، ليه كده بس؟! فيحكى ويحكى، وأنا أختزن كل ذلك فى شاشة ذهنى، هو يظن أننى أسمعه بينما أنا أسجل له، يعتقد أننى متعاطف معه، وأنا فى وادٍ آخر، أفكر فى قصته، أتأملها، هل تصلح لتكون رواية أدبية، أم مسلسلاً؟ إنه يذكرنى بيحيى الفخرانى، آه لو قام الفخرانى بدوره، سيصبح عظمة، سيمثله بعبقرية، وما إن يذكر صاحب الحكاية شيئًا غير منطقى حتى أهب فيه، إزاى؟! إزاى يا عم!! لا، قول لى فهمنى، ويظل يسرد لى أدق التفاصيل، وتظل حكايته فى رأسى شهورًا طويلة، فأنا أيضًا حرامى كسول، لا أكتب إلاَّ للشديد القوى، فى الطائرة كانت جالسة بجوارى، امرأة جميلة، ولكنها حزينة، نتعرف، نتكلم، واستطيع بعبقريتى كلص محترف أن أجعلها تحكى، وأنا، أستمع واختزن، ونتبادل التليفونات، ربما أحتاج إليها فى تفسير نقطة وأنا أكتب، فأنا لا أحب أن أتعب نفسى وأؤلف، وأظل هكذا، أسمعهم وهم يحكون، وأنا بكل براءة أنفعل معهم، وأحشر نفسى فى كل كبيرة وصغيرة فى حكاياتهم إلى أن يكلمنى أحد المنتجين، ألو.. عاوزين نعمل لك مسلسل، ولا فيلم يا أستاذ، (لاحظوا أنه لا يعرف مهنتى الحقيقية) هنا أبدأ فى إخراج البضاعة المسروقة، فأزوج الرجل الملظلظ بحكايته، للمرأة الجميلة التى التقيت بها فى الطائرة

بحكايتها، ثم بكل بجاحة أطلب من المنتج فلوسًا كثيرة، ويرضخ المسكين لطلباتى، ولكن هل انتهت الجريمة هكذا؟! لا، يتبقى الجزء الأكثر إثارة، المنتج الذى اشترى البضاعة المسروقة ماذا سيفعل بها؟! تصوروا يبيعها!! ولمن؟! لكم أنتم، أصحابها الأصليين!! هل رأيتم لصًا بهذه الدرجة من المهارة، يسرق البضاعة ويبيعها لصاحبها، ولا يقبض عليه!! الأعجب.. أن النقاد يهاجمون روايتى هجومًا غريبًا بعضهم يقول إنها غير واقعية وتنقصها الحبكة، أى حبكة.. أنا لم أحبك أى شىء لقد أتت لى هكذا، وأنا بعتها كما سرقتها، ويقول البعض الآخر إن روايتى مسروقة!! ولكن تصوروا، يقولون إنها مسروقة من رواية أجنبية!!! ثم، عجيبة العجائب بأه، أن أحصل على جائزة أحسن كاتب عن الرواية نفسها التى سرقتها، وباستفتاء الجمهور، الذى هو صاحب القصة الأصلى.

الرجل الذى كان عاشقًا لابنته الوحيدة، وكان يبكى ليلة زفافها جلس يحكى لى، وأنا ـ لم تأخذنى به رحمه ـ كنت أتخيل الفنان الكبير عادل إمام وهو يفعل ذلك، الرجل زوج ابنته، وتعذب لفراقها وأنا، كتبت فيلمًا لاشك أن قسوة الكتابة فى أنها لا ترحم الحياة، وإنما تنهال عليها بلا شفقة، تفضحها، تكشفها، تسرقها، ونحن لا نكتب الحياة، الحياة هى التى تكتبنا، هذا هو اعترافى، بكل وضوح، قلته لكم بكل شفافيه ودون أى شعور بعذاب الضمير.

الشيء الوحيد الذى يخجلنى حقًا، حينما أقابل هؤلاء الشخوص الذين سرقتهم بعد أن تنزل الرواية ويشاهدها الناس، فـأشعر بجريمتى وأنـا أراهم ينظـرون لى بضيق، ولا يستطيع أى منهم أن يواجهنى بأنه تلك الشخصية التى فى الرواية والتى أضحكت عليه الدنيا كلها.

أعتقد أننى سأظل فترة طويلة أحرمكم من رواياتى بعد كتابة هذا المقال، فكلكم ستكونون حريصين جـدًّا معى، ولـن يفتح أى منكم فمه أمامى، حتى لا يجد نفسه مكتوبًا فى رواية جديدة، ولكن.. سينسى الناس هـذا المقـال بالتأكيد. فلقد قامت الدنيا ولم تقعد لهؤلاء اللصوص الذين سرقوا المليارات ثم، نسينا، وعادوا يعيشون بيننا فى أمان وسلام، وقريبًا، سيأتى أحدكم لى وهو يتنهد فى ضيق، مش طايق نفسى يا جو، هنا سأرسم على وجهى حالة التعاطف إياها، وسأقول له مالك بس يا عم!! اقعد احكيلى!!

إذًا : صحيح

مشكلة الكلام "الأبيح"، إن كتابته تبدو مستحيلة، لا أحد يقبل أن ينشر ذلك، رغم أننا نسمعه طوال الليل والنهار، هل جربت أن ترصد عدد الكلمات الأبيحة التى تسمعها فى اليوم الواحد؟! إذا كسرت على أحد بسيارتك دون أن تقصد، سيخرج لك رأسه وأحيانًا يده من شباك سيارته، ثم ستنفجر ماسورة البذاءة من فمه بس مين اللى اداللك الرخصة يا بن الـ عشان أنت راجل ابن.... أنتم طبعًا تعرفون الباقى، وإذا استمعت إلى أحدهم أو إحداهن يتكلم فى التليفون المحمول، ستجده ينفعل ويثور ويسب ويلعن بكلام فى منتهى الأباحة، والله لقد سمعت إحداهن تتكلم فى التليفون، فتاة فى العشرين لا تزيد على ذلك كانت تقول كلامًا، أحمر له وجهى ـ أنا ـ خجلاً، وحينما شعرت بأننى سمعتها لم تخجل.. وإنما حدقتنى بنظرة رفعت فيها أحد حاجبيها، وكأنها تتوعد لى، اسمع وأنت ساكت، هكذا، لا توجد أى رقابة على الشتامين، الرقابة تتشطر فقط على من يكتبون المقالات، ولماذا تحذف الرقابة الكلام الأبيح، يقولون لأن له معانى جنسية، ولكن الأفلام

الجنسية نفسها متوافرة والكل يتفرج ويرى كل شيء، إذن مسموح لنا أن نسمع الكلام الأبيح وأن نرى المشاهد الأبيحة، والأغانى الأبيحة وغير مسموح لنا أن نكتبها فى مقالات، وماذا عن الترجمة، مأساة أخرى إذا أرادوا أن يترجموا مشهدًا خارجًا، تجد البطل يقول للبطلة، "أنا أريد أن أضاجعك" وهو طبعًا بالإنجليزى لم يقل ذلك، وإنما تقبل الرقابة كلمة المضاجعة وتعتبرها أهون قليلاً من اللفظ الذى لفظه البطل الأبيح، وليس أبلغ من يوسف بك وهبى حينما فتح باب غرفة نومه ليجد زوجته فى الفراش مع عشيقها - فى أحد الأفلام - فإذا به ينظر نحوهما.. ولا يقول سوى كلمتين فقط، إذًا، صحيح،

وكان الكلام الأبيح قديمًا ليس له مكان سوى الحارات الشعبية، فى مشاجرات النسوة من البلكونات، وكن يتفنن فى اختيار الألفاظ المذهلة، فيبدو المشهد كأنه فيديو كليب شعبى فريد من نوعه، ويجلس رجال الحارة صامتين دون أى تدخل من جانبهم وكأن الأمر لا يعنيهم، أما الآن، فلم يعد الأمر مقصورًا على الحارات الشعبية، بل ربما اختفى هذا الفلكلور من الحارة المصرية، وانسحب على المجتمع كله، صرنا شعبًا شتامًا، وصارت الشتيمة جزءًا من حوارنا اليومى، بل صارت الشتيمة أحيانًا نوعًا من المدح، وقد رصدت إحدى الهيئات العلمية الأوروبية الشارع المصرى واللغة التى يتحدث بها، وكانت النتيجة أن فى مصر مولودًا كل ٢٧ ثانية، وكلمه أبيحة كل ثانية، فعلاً

صار كلامنا هكذا. أهتف بالسائق، كنت فين يابن الـ.. فيرد ضاحكًا، يا باشا كنت عند الميكانيكى ابن الـ.... فقد لطعنى ساعة قدامه ابن الـ.... وهكذا نظل أنا وسائقى نشتم ونقبح... لمجرد أن يخبرنى، لماذا تأخر عند الميكانيكى ابن الـ.... هذا المشهد نفسه منذ خمسين عامًا، كان سيختصر فى جملتين، يأتى السائق ويهتف بى بكل أدب... العربية خلصت يا بيه،. فأهتف به فى وقار،. إذًا صحيح!!!

وقد ذهب صديق لنا وكان معروفًا بأن لسانه منفلت، وأبيح، ليخطب فتاة أحبها وكان أبوها رجلاً كلاسيكيًا متحفظًا، وجلس صاحبنا مع الأب الذى سأله، ما الذى أعجبك فى ابنتى؟ وهو سؤال إجابته معروفة مسبقًا، دربنا عليه صاحبنا قبل ذلك، طبعًا أخلاقها العالية وتربيتها، وكفاية إنها بنت حضرتك، ولكن صديقنا المنفلت، قال له بكل فجاجة: عمى أنا لن أخدعك إن أول ما أعجبنى فى ابنتك..... وقالها!!! تصوروا، الحيوان قالها هكذا فى وجه أبيها، ثم بدأ يتكلم عن الأشياء الأخرى التى شدته إليها كأنه يتكلم عن جارية من جوارى العصر العباسى، وطرده الأب شر طردة، بعد أن أسمعه مالذ وطاب من الأباحة المنتقاة، الغريب، أن البنت أعجبها الكلام الذى لم يعجب أباها، وأحبت صاحبنا وتزوجا بعد ذلك، وقد التقيت به بعد سبع سنوات من الزواج، واختليت به وسألته، ما الذى يعجبك فى زوجتك فقال لى، أخلاقها العالية طبعًا.

فقلت له: إذًا، صحيح.

فى الأسفار والمسيار

قديمًا كان الـذى يسافر يصبح نجمًا، فلم يكن الترحال وجواب البلدان متاحًا لكل من هب ودب، وكان الرحالة أو المسافر يسجل فى ذاكرتـه العبقرية مشاهداته ومسامعه، ثم يفرغها بعد ذلك على تلامذته يكتبونها عنه، ولصعوبة الاتصال بين الأقطار ومشقة السفر ومخاطره، كان هؤلاء المغامرون هم المصدر الوحيد الذى يستقى عنه الناس معلوماتهم عن البلاد التانية والناس التانيين، الذين يعيشون بعيدًا عنا، ولاشك أن إخواننا الرحالة زودوها شويـة، ربما للفت الأنظار فقابلوا الرخ والأفعى التى بثلاث رؤوس، والحصان ذا الجناحين، ويقال إن جاليفر، حينما ذهب إلى بلاد العمالقة، فرحوا به جدًا، وحمله أحدهم ووضعه على التسريحة بجوار المنبه، أما عندما ذهب إلى بلاد الأقزام فقد تسبب فى مقتل أربعمائة قزم حينما هبت عليهم عاصفة هوائية رهيبة لـم تكن سوى أنـه كان يعطس، وابـن بطوطـة يقـول إنـه ذهب إلى بـلاد تمشى فيها الأسود فى الشارع

عادى، ولا يعترضها المارة، فقط يلتهم الأسد حينما يجوع ما يجده فى طريقه، حمار، ماعز، بطة، ولا أعرف لماذا لم يسل لعابه على ابن بطوطه، ونحن كنا نتقبل هذا الفشر والمبالغات الرهيبة، ونبلعها لسبب بسيط، أولاً لرغبتنا فى الإغراق فى الخيال الجامح، ثانيًا من أين لنا أن نعرف الحقيقة وابن بطوطة هو المصدر الوحيد؟ لا "سى. إن، إن" ولا يورونيوز ولا انترنت ولا تليفون محمول حتى، دلوقت أعمل مكالمة دولية للصين، أجيب الصين كلها عندى فى البيت، يطلع لى واحد رحالة بقى يكلمنى عن التنين الصينى أبو دماغين وعشر رجلين باللى فى إيدى على طول، ولكن يظل باقيًا من أثار الرحالة القدماء، تلك الندوة العائلية التقليدية التى تعقد فور وصول لطفى ابن خالتى من الإمارات، والتى يحكى لنا فيها عن رحلته، وغالبًا ما تكون مملة جدًا حكايات لطفى ابن خالتى عن عادات الشعوب، فكلها حافظينها ونفضل دائمًا أن يكلمنا عن منتجات هذه الشعوب يعنى جايب معاه حاجه ولاَّ إيد ورا وإيد قدام.

وإذا كان المثل القديم يقول إن فى السفر سبع فوايد، فاليوم أصبح المثل فى السفر سبع شنط بس حد يطلعهم لى من الجمرك، لم يعد المسافر يتحفنا بالعاج من إفريقيا، والجلود من السودان والأبنوس معرفش منين، هو لو جاب معاه مروحة وخلاط وتسجيل يبقى ميت فل والكل اتعشى، وفى حكايات الرحالة العائدين اعتبارًا من

هيرودوت إلى لطفى ابن خالتى، تحتل المرأة مساحة لا بأس بها فى الحواديت، فالرجل المسافر الحر الطليق يصبح أجرأ فى اقتحامه للمرأة منه وهو فى بلاده، أو تلك هى الصورة التى يحاول أن يوصلها لنا، فهو يكلمنا عن وفرة النساء وشدة إقبالهن عليه فى الغربة، ونحن نتحسر هنا أن أحدًا لا يعبرنا ولا يسأل فينا، واعترف بأننى فعلت ذلك فى مطلع شبابى. ملحوظة: أنا الآن فى منزل شبابى.

سافرت لإيطاليا ولم أوفق فى رحلتى وعدت بعد أيام بخفى حنين، واجتمعت الشلة، هه، قول، احكيلنا، ده أنت تلاقيك عملت عمايل، ولم أجد مفرًا من أن استدعى من الذاكرة كل الأفلام التى عملت لشباب سافر للخارج، النمر الأسود على الطيور المهاجرة، مع قليل من التغيير فى الأسماء والأماكن، حكيت عن جارتى الإيطالية الجميلة الساحرة التى حينما علمت أننى مصرى لم تمسك نفسها من فرط الإعجاب، وطرقت عليا الباب فى نص الليل لأثبت لها أننى مصرى، وحكيت عن الحسناء الفرنسية الرائعة التى وقعت على حجرى حينما وقف الأتوبيس فجأة، وظلت جالسة فى مكانها هذا ثلاث محطات بعد ذلك، أكاذيب، كلها أكاذيب ولكنها مطلوبة وأساسية لأى رحالة معاصر.

ونظرًا للفحولة المصرية التى لا ينكرها العالم كله، أقبلت النساء على الرجل المصرى الذى يمثل بالنسبة لهن سحر الشرق وعظمة الفراعنة، والحكاية لها جذور قديمة ترجع لأيام تحتمس الرابع

وامنحتب الثالث، والأخير بالذات كان فاجرًا جمع فى بلاطه نساء من كل جنس ولون، وكانت حضارة بابل وحضارة ميتانى من الحضارات المنافسة للحضارة المصرية، ييجى أخونا أمنحتب الثالث ويتزوج من ابنة ملك بابل وأخته، وابنه ملك ميتانى وأخته، فجمع بين الأبنة وعمتها فى البلاط، شفتوا الفجر.. ده مش بلاط ده مرمطة.. وسواء كان السبب سياسيًا كما يقول البعض لحرص الفرعون على أن يكون تحته ابنه الجالس على العرش فى ميتانى وبابل.. أو كان ذلك دناوة من الفرعون، إلا أنه برغم ذلك كان ضنينًا بأميرات بيته، ما يبصوش لا من شباك ولا من بلكونة، وحينما تجرأ أمير بابل، (كادشمان أنليل الأول) وطلب منه يد أميرة مصرية (من نفسه)، يرفض الفرعون ويرد بتعال واحتقار ويقول "لم يسبق أن أرسلت أميرة مصرية إلى أى إنسان"، وكأننى أرى الباشا فى رد قلبى يكلم على ابن الجناينى، إنها النعرة المصرية الأصيلة، وإذا كان الشاب مننا حينما يسافر للخارج يتزوج من أجنبية حتى يأخذ الجنسية، فهى تتزوجه ليس لسواد عيونه فقط، وإنما لأسباب جنسية برضه.

ويحكى لنا ابن بطوطة هو الآخر حينما ذهب إلى جزائر "ذيبة المهل" ويصف نساءها بأنهن لا يغطين رؤوسهن ولا يلبسن أكثر من فوطة واحدة تستر الجسم من السرة إلى أسفل، وسائر أجسادهن مكشوفة، وكذلك يمشين فى الأسواق وغيرها، (اتمتع ابن بطوطة برضه) ويقول إن من عجيب أفعالهن أنهن يؤجرن أنفسهن للخدمة بالديار بخمسة

دنانير (يا بلاش)، فتجد فى دار الإنسان الغنى عشرين فتاة، وكل ما تكسره من الأوانى يحسب عليها قيمته، (فداها ستين طبق) إن شالله تكسر البيت كله، والزواج منهن فى غاية السهولة، لا صداق ولا غيره، وإذا قدمت المراكب تزوج أهلها النساء فإذا أرادوا السفر طلقوهن، وذلك نوع من نكاح المتعة وهن لا يخرجن من بلادهن أبدًا، ولم أر فى الدنيا أحسن معاشرة منهن ولا تكل المرأة عندهم من خدمة زوجها، بل تأتيه بالطعام وتغسل يديه وتغسل له رجليه عند النوم، تلك هى صورة مبسطة لنساء جزائر "ذيبة المهل" وأنا مستعد أدفع عمرى وحد يجيب لى الفيزا لذيبة المهل.

وأخيرًا سمعنا عن "المسيار" آخر صيحة فى عالم الزواج، وهو زواج بعقد شرعى، يفقد المرأة كل حقوقها إلاَّ حقًا واحدًا، أنتوا عارفينه طبعًا، ويدعى المشجعون لزواج المسيار، وهو لمن لا يعرف بعد، زواج المسافر فى بلد غريب من امرأة أجنبية، حتى لا يلعب بديله فى الحرام يتجوزها ثم يتركها بعد الزواج، ويعود إلى بلده ميت فل وأربعتاشر، مسيار بقى!!.. حد قده، ويدعى المشجعون أن هذا الزواج للتغلب على مشكلة العنوسة، وعدم وجود شقة دائمة للزواج، طيب البنية كانت قاعدة فى بيت أبوها كافية خيرها شرها، ييجى المسيار بقى يقعد قعدته ويمشى، أبقى قابلنى لو عرفت تلمها بعد كده، ده بيبقى قاعد فى وشها ليل نهار والشقة باسمها والعيال

رابطينها وتبقى عنيه فى وسط راسه، إيش حال بقى لما الباشا يبقى مسيار، ثم ما منظر العيلة التى ستزوج ابنتها من واحد مسيار؟

بالله عليكم تخيلوا معى المشهد، العيال إخواتها بيذاكروا على ترابيزة السفرة، وأمها بتغسل وأبوها قاعد بيقرا الجرنال، يطرق الباب، يقوم الأب، متهللاً، فرحًا، ويشخط فى العيال، أمشى ياد أنت وهوه.. أندهوا أختكم عواطف.. قولولها المسيار جه.. يضع المسيار كيس الكانتالوب على السفرة ويأخذ عواطف من يدها إلى الحجرة التالية، ليأخذ حقوقه الزوجية، بعد ذلك يخرج المسيار من الحجرة ويسلم عليهم بحرارة لأنه مسافر فى طيارة الفجر، ولا تجد عواطف شيئًا فى النهاية سوى، كيس كانتالوب.

أعزائى أصبح للسفر ثمانى فوائد وليست سبعًا كما كانوا يقولون.

أهلين!!

وجوه مبتسمة.. متهللة.. مشرقة.. تستقبلك فى بيروت، إذا قلت بونجور يردون عليك بونجورين، وإذا قلت مرحب تلاقى مرحبتين، وأهلاً تأخذ أمامها أهلين، وبعد ما تاخد بق ميه، صحتين.. كل حاجة فى بيروت اتنين، وحتى حينما تدفع الحساب، تدفعه مرتين!! تثيرنى هذه الازدواجية البيروتية فى الترحاب وفى الأسعار أيضًا.. أما إذا تكلمت عن جمال بنات بيروت فلا تضرب فى اتنين اضرب فى ميتين، مع الوضع فى الاعتبار أن خفة دم المصرية.. أضرب فى ألفين، ظللت أتمشى فى شارع الحمرة، من صباحية ربنا حتى المغرب لأبحث عن واحدة وحشه مالقتش، فاعتقدت أن الوحشين منهن.. يظهرن فى الليل فقط، وكانت ليلة، اكتشفت فيها أن الوحشين هن اللاتى رأيتهن فى الصباح دول مقارنة مع بتوع بالليل، والبنت اللبنانية فيها سحر الشرقية وجرأة الأوروبية، الموضة هنا البلوزات القصيرة التى تظهر البطن، وهنا عيب جدًّا على أى بنت أن تخبى بطنها واللى مالوش ضهر

فى بيروت لا يضربه أحد على بطنه، والمعنى فى بيروت ليس فى بطن الشاعر كما هو عندنا فى مصر، وإنما هنا فى بطن الشارع لا أحد هنا يعاكس فتاة ماشية فـى الشـارع، ولا سيارات تلاحق فتيات، فالشوارع هنا ضيقة جدًا، وكذلك البلوزات والبنطلونات، والشعب اللبنانى عاشق للفن، الكل هنا يغنى.. عامل البنزينه يغنى.. الباعة المتجولون.. حتى تلك الشحاذة العجوز التى استوقفتنى عند مسرح البيكاديللى. كانت تشحذ بالغناء وللأسف لم أعطها شيئًا، أعطيتها أذنى فقط، أعنى أننى سمعتها يعنى، وليس هذا بخلاً منى والله، ولكن الأسعار هنا نار فكم أعطيها، الشحاذة أيضًا يا أعزائى لها سعر، فإذا كانت شحاذة وطربًا فبالتأكيد سعرها مختلف عن أم إبراهيم، تلك الشحاذة المصرية الجالسة أمام باب الفتوح، من أيام قنصوه الغورى، تمد يدها للرائح والجاى والتى لو كانت تدخر ما تشحذه لاشترت باب الفتوح نفسه، ولأصبح اسمه الآن باب أم إبراهيم، ولكن أم إبراهيم لها أسلوبها الخاص فى الشحاذة، أستطيع أن أسميها شحاذة ميلودرامية كلها شجن وعذاب ونظرة كلها غلب، أما شحاذة البيكـاديللـى فـأستطيع أن أصفها بأنها شحاذة شبابية، ولأننى اعتدت أن تكون الحسنة القليلة التى أدفعها تمنع بلاوى كتيرة أراها فى عين اليد الممدودة، فأنا لم أستطع أن أتعاطف مع شحاذة البيكاديللى التى تغنى، لأننى تصورت أنها ليست محتاجة حسنة بقدر ما هى محتاجة فرصة.

وبمناسبة الشحاذة، أذكر شحاذًا قابلته فى استنبول يقف فى استعلاء وشموخ أمام أحد الجوامع يرتدى بذلة وكرافاته ونضارة شمس، ويمد يده فى تعاظم قائلا، حسنة يا كلاب، حسنه يا جزم، والابتسامة البيروتية التى أكلمكم عنها برغم جمالها، فإنها مكلفة جدًا، تدخل المحل من دول فيبتسم الجميع فى وقت واحد، للحظة تصورت أننى عادل إمام، ويهتفون بى، أهلين، كيفك يا زلمة، تشرب شى؟! قلت له ماشى، قال لى تشرب شى، قلت له بقولك ماشى، كنت أعتقد أنه يقول تشرب شاى!! هات له قهوة يا روجيه.. قهوتك كيف، وسط؟! يعنى مضبوطة، ثم يهمس فى أذنى كأننا تربينا معًا منذ ثلاثين عامًا، عندى إلك جاكيت بياخد العقل، ما كان فيه منه غير إطعتين، إطعه خدها راغب علامة، وهادى الإطعة إلك، ثم يتلقف ذراعى ويدسها فى كم الجاكيت، ويرجع خطوتين لورا ثم يصرخ فى إعجاب والله عليك أحلى من راغب علامة. أقول له فى توسل.. فرق كبير بينى وبين راغب فرق كبير، وظهر فعلاً الفرق بيننا حينما قال لى سعر الجاكيت، تمنميت دولار!! فعلاً بياخد العقل!! قال لى صاحب المحل.. مالك بالمصارى يا زلمه.. ماتفكر، وكعيت المبلغ وخرجت، وأخذت أواسى نفسى.. يكفى أنها الإطعة الوحيدة، لا يرتديها سواى.. أنا وراغب.. و.. أحملق فى المارة يا نهار أسود!! بيروت كلها تلبس الجاكيت نفسه والجرسونات فى المطاعم كأن هذا هو الزى

الرسمى لأهالى لبنان، وسعره مائة دولار فقط.. ولم يدفع فيه ما دفعت سواى.. أنا وراغب علامة طبعًا.

وابتسامة أخرى فى بيروت ولكن أكثر من ابتسامة صاحب المحل.. موظفة الريسبشن فى الأوتيل.. بونجورين خيى.. (أخوها يعنى وهذا طبعًا ضايقنى) نمت منيح؟! وسائق التاكسى يتحفنى هو الآخر بابتسامة.. ويسألنى.. عجبتك لبنان خيى.. (يعنى أخوه، وهذا طبعًا أسعدنى) بدى أعمل لك فتلة ببيروت، والفتلة هنا يعنى لفة فسحة يعنى.. ولكن سعر الفتلة هنا أكبر من سعر البكرة على بعضها بأسعار مصر.. وماله نعمل فتلة إحنا ورانا إيه؟! بمجرد ما أن يدير المحرك يشغل المكلمة على طول شوف خيى.. محسوبك متجوز من اتنين نسوان (ألم أقل لكم كل حاجة فى بيروت اتنين) واحدة من هون، والتانية من هونيك، ثم يستطرد، بيى (أبوه يعنى) كان عنده بناية بالجنوب، اتهدت بالحرب، وما عاد فيه شغل.. ما عاد فيه حركة بالبلد.. ما عاد فيه مصارى.. وحينما تنتهى الفتلة يهف منى ابن اللذينه ثلاثين ألف ليرة.. حوالى ستين جنيه "حار ونار" سيصرفهم على الاتنين نسوان اللى حكى لى عنهما.

وفى المطار، وجدت مئات المصريين، شباب زى الفل، فى الخارج الوجوه المصرية تأخذ شكلاً عجيبًا يفيض حنانًا وحبًا، ولكن الأسى يملأ الملامح، ما لكم فيه إيه، التفوا حولى، حكوا لى كل شىء.. إنهم يحفرون فى الصخر.. بأظافرهم.. ولا عائد.. وهاهم الآن مرحلون إلى

مصر، ولماذا الترحيل، قال لى أحدهم.. لا أحد يرغب فى وجودنا، قلت لهم خير وبركة.. هناك فى مصر دراعات مفتوحة لكم.. صحيح مفيش أهلين.. لكن أهلاً واحدة بالدنيا..

المثل يقول لاقينى ولا تغدينى.. ولكنه مثل حقير، فما معنى أن تلاقينى بالحضن والسلامات.. ثم تتركنى أموت جوعًا؟ ارجع يا بنى أنت وهو على مصر.. كفاية معجنات ومناقيش وكبه وتبولة، الطعمية مالها وطبق الفول بالزيت، والعيش السخن، وأمك تدعيلك وأبوك يطبطب عليك ويشيل همك، ملعون أبو الجرى ورا المصارى.. كنت أنوى.. على غرار أهلين.. ومرحبتين.. وصحتين.. أن أكتب عن لبنان مقالتين ولكن كفاية دى.

ألفين، على فين؟!

فى بداية القرن العشرين قال جدى لأبيه فى سؤال عجيب فذ: افرض يا بابا أنك جالك ألف جنيه تعمل إيه؟! واتسعت عينا الأب دهشة من غرابة السؤال وقال.. أأألف جنيه مرة واحدة.. أما أنت عليك أفكار يا واد يا معاطى، جيل آخر زمن، أيوه يا بنى ما انتوا اللى ح تعيشوا فى القرن العشرين بقى، فهل كان يتصور ذلك الرجل الطيب، أن الألف جنيه هذه ستكون ثمنًا لزوج من الأحذية.. فقط فى نهاية القرن؟ وهل أتخيل أن حفيدى فى القرن الاثنين والعشرين سيسأل أباه.. إفرض يا بابا إنك جالك مليون جنيه تعمل إيه؟ سيرد أبوه.. ح نجيب اثنين حاجة ساقعة.

وهكذا يظل الغد هو الحلم الغامض الساحر المجهول، والإنسان يظل دائمًا مولعًا بالتنبؤ، بالتكهن بأشياء لم يرها، لم يعشها.. فإذا حدثت يفشخ ضبه فى سعادة وانتصار يقولك مش قلت لك.. وحينما حاولت أن أتنبأ أنا الآخر بالمستقبل فى القرن القادم بعد كام يوم، وجدت

نفسى فى مأزق.. إذ أننى لم أستطع بعد أن استوعب القرن الحالى: اختراعات وانقلابات وأحداث رهيبة فى العلم والذرة والليزر، والفمتوثانية، واستنساخ البشر، وصواريخ وطيارات، تطير بسرعة الصوت.. وطيارات تختفى بسرعة أكبر.. هل كان يتصور أحد كل هذا؟

ولذا على عكس ما تتوقعون.. لن أجعل الشريط يدور للأمام.. وإنما سأعود بكم إلى الخلف، إلى ناس تخيلت سنة ٢٠٠٠ وكتبت تصورات ثم رحلت ولم تشهدها، فى مجلة كل شىء فى مارس ١٩٢٦ قرأت الآتى!! دعنا من آلاف السنين القادمة وحسبنا أن نتأمل قليلاً فيما يكون عليه الناس بعد ٧٤ عامًا أى فى ختام هذا القرن ـ يعنى السنة اللى فاتت ـ أولاً سيزيد عمر الإنسان إلى نحو ١٥٠ سنة أو أكثر. وثانيًا سيقوم اللاسلكى بالغرائب. فلن تحتاج إلى الخروج من بيتك لكى ترى التمثيل. إذ يكفيك أن تقعد أنت وعائلتك وترى وتسمع كل شىء. وأنت فى قريتك بل وأنت فى القطار فى السفر.

وضحك جدى وهو يقرأ المجلة، إزاى يا ولاد المجنونة، وده كلام يخش الدماغ ده، وأضحك أنا من جدى، لا.. يخش يا جدو.. التليفزيون والقنوات الفضائية جعلت الدنيا كلها أصغر من أوضة المسافرين التى كنت تستقبل فيها ضيوفك.

والشىء الثالث تصورهم أيامها لحياة البنى آدم، سيلغى الخدم

وسيقوم مقامهم آلات تشتغل باللاسلكى، تقدم لك طعامك على المائدة، وبالمنزل أنابيب للبن والنبيذ والماء والعصائر المختلفة، وسيكون الفراش من الكاوتشوك المنفوخ، والشوارع ستسير فيها العربات باللاسلكى، وسيكون للناس مماشى تحت الشوارع وفوقها.. (أنفاق وكبارى.. عادى) أما من حيث اللباس فالناس سيتخففون فيه جدًا.. فالسيقان ستبدو عارية وكذلك الذراعان ـ (حصل أكثر من كده بكثير يا جدى.. دراعات إيه وسيقان إيه.. والبطن كمان وحياتك.. تعالى شوف.. تعالى اتفرج).

هكذا كتبوا من ٧٤ عامًا فى مجلة كل شىء.. هكذا كانوا يرونها بعيدة، مستحيلة سنة ٢٠٠٠ هذه.. وبعد ٣٥ سنة.. عادوا مرة أخرى للتنبؤ.. وكأنها ـ ألفين هذه ـ أعجوبة الزمان فرأى العقاد، أو تصور أن الأدب العربى فى سنة ٢٠٠٠ سيصبح أدبًا عالميًا، ربنا يفتح عليك يا أستاذ، أنت ابن حلال ونيتك صافية وخد عندك المفاجأة دى نجيب محفوظ حصل على نوبل فى الأدب، أتصور الأستاذ العقاد فى شدة السعادة والفرح متهللاً بضحكته وهو يقول: ألم أقل لكم.. وتنبأ الأستاذ أيضًا بأن تحل مشكلة الفصحى والعامية، ولكن آسف يا أستاذ.. لم تحل.. بل إن القضية نفسها حفظت، ضاعت اللغة يا أستاذ، نحن نعيش فى أيام الروشنة، سنة ٢٠٠٠، سنة حطن.. فيها ناس بيئة وناس كلاس.. مالك يا استاذنا تحملق فيا هكذا؟! لا تفهمنى طبعًا؟! أنا أسف.

أما الأستاذ فكرى أباظة، فيتصور أنه فى سنة ألفين سيتفاهم الناس من غير كلام، وإنما بقراءة ما بالرؤوس، يعنى عينى فى عينك.. وخلاص، اتكلمنا واتخانقنا، وحقى جالى وحقك جالك.. للأسف يا أستاذ فكرى، لم يحدث هذا بل إن لغة العيون والرؤوس التى تتصورها اضمحلت إلى حد كبير، وصار التفاهم ـ حتى بالكلام ـ صعبًا.. صعبًا للغاية، كما يتوقع فكرى أباظة الساخر العظيم أن الإنسان فى سنة ٢٠٠٠ سيقاوم الجو بحيث يهون القيظ الشديد فى الصيف والبرد القارس فى الشتاء، وهذا أيضًا لم يحدث أيها الحالم العبقرى، عملنا تكييفات آه.. ولكن إذا باظت.. يا حفيظ.. سواء فى شتا ولا صيف، ولسه بنتكتك من البرد وبنتخنق فى الحر، وحالتنا صعبة بعيد عنك، ده أنت استريحت ما شفتش جونا بأه عامل إيه.. ويرى الأستاذ فكرى أباظة، إنه فى سنة ٢٠٠٠ سيختفى من العالم العربى كله الوباء الكامن فى جسم الأمة العربية ـ إسرائيل ـ آه يا عم فكرى لو عشت وشفت، ده ما بقاش وباء، دى بقت غرغرينة بعيد عنك، وينصح الشباب فى سنة ٢٠٠٠ ألا يتزوجوا قبل الثلاثين، آهى دى الوحيدة اللى حصلت يا عم فكرى، محدش بيتجوز قبل الثلاثين ولا بعدها، الظروف منيلة بنيلة يا عمنا معلش.

أما الكاتب الكبير محمد فريد أبو حديد.. فيرى أن السنبلة الدرية هى اختراع يناير ٢٠٠٠ بدلاً من القنبلة الذرية يعنى، وأن السلام سيعم الدنيا كلها، والحب، ويبدو يا عزيزى أن محصول السنابل الدرية

الدودة أكلته.

أما الكاتب يوسف السباعى فيؤكد أنه فى عام ٢٠٠٠ سينتهى عهد الكتاب ويبدأ عهد الأشرطة، واسمح لى يا أستاذ يوسف أن أقول لك إن نصف نبوءتك صحيح، انتهى عصر الكتاب بالفعل، ولكن عهد الأشرطة الذى تصورته، الأشرطة التى عليها قصص لتوفيق الحكيم ويوسف إدريس وتشيكوف وحاجات من دى فهذه مأجلينها شوية لسنة ٣٠٠٠ وعليك خير، أما أشرطة هذا العصر يا صديقى فهى كامننا، وأحمد حلمى اتجوز عايدة، مالك تنظر لى هكذا، إنها معالجات عصرية لروميو وجوليت ومرتفعات وذرنج، (اعتذر عن هذه الكذبة ولكن الراجل مات، لا أريده أن يطق بعد ما مات).

أما الشاعر محمد مصطفى الماحى فيتصور أن فى سنة ٢٠٠٠ ستنحسر موجة الاستعمار عن جميع أقطار العالم العربى وستظلله القومية العربية بكل مقوماتها وسيشمل الإصلاح أرجاءه.

ويقول الشاعر

عـام ألفـين عـام يمـن وسـعد   لبنـى العـرب حاطمى الأغلال
هكـذا العـرب عام ألفين جاءوا   بـبديع الـصنيع والأفعـال
لكأنـى بهـم يتـيهون زهـوًا   بـبلوغ المنـى وحـسن المـآل
هـل ترانـى أعـيش حتـى أحيى   ذلـك العهـد مبدعًا فى المقال

أحسنت يا عم مصطفى يا ماحى.. وها أنا قد عشت وأنا الذى كتبت المقال ولست أنت ولكن.. لم أبدع مثلما نويت أنت أن تبدع.. فهل تعلم لماذا؟ لأنك أنت وغيرك.. حلمتم.. تخليتم.. تصورتم أما أنا فعشت، وما أروع الأحلام، وما أصعب الأيام..

ألفين أهلين

ساعات قليلة.. ونستقبلها.. نسلم عليها.. نلمسها.. لحظة فريدة كنا فى انتظارها عشرين قرنًا من الزمان، وإذا حسبناها بالمصرى يبقوا ٧٠٠٠ سنة، خلاص انتهى القرن العشرين بجنونه، بحماقاته.. بحروبه، بهدوئه، بكل ما فيه.. ولا شك أننا سنصبح تريقه أولادنا وأحفادنا فى القرن الجديد، والملعون ابنى سيسخر منى ومن آرائى ويقول أنت لسه عايش فى القرن العشرين، اصحى يابا، فوق.. أنت لسه عايش فى الروشنة ما خلاص الروشنة دى كانت على أيامكو، وسينظر الملعون إلى روشنتى كأننى ارتدى طربوشًا وأمسك بمنشة، وسيفطس من الضحك حينما يضبطنى أسمع أغانى زمان لخالد الذكر عمرو دياب، والنغم الأصيل مصطفى قمر، وزمن الفن الجميل.. زمن هشام عباس وحكيم، وشيخ المطربين الحاج محمد فؤاد، وستصبح موسيقى حميد الشاعرى والصقفة مثلها مثل تخت الست منيرة المهدية، وسيتألق الممثل الكبير أحمد السقا فى دور الأب الحنون

أمام القديرة ياسمين عبد العزيز فلا شك أنها ستعيد أمجاد فردوس محمد..

وأحفادنا لن يسكنوا العمائر مثلنا.. ولن يزدحموا حول نهر النيل مثلما فعلنا نحن، أعتقد أنهم سيعيشون فى كارافانات، بيوت متحركة.. والبيت به حمام وحجرة نوم فقط، كفاية. وفى أى مكان ويركن، لم تعد فى الدنيا كلها حتة مقطوعة ولا منطقة مهجورة وستظل بيوتنا القديمة هذه رمزًا للقرن البائد وللتخلف، وحينما يأتى عريس لحفيدتى ليطلبها ـ هذا إذا كان هذا التقليد السخيف لا يزال موجودًا ـ لن أجرؤ على أن أسأله ح تسكنوا فين.. لأنه سيرد بغلاسة.. عارف طريق إسكندرية الصحراوى.. فين الكيلو ٨٠.. تخش بعربيتك جوه فى الصحرا بتاع ثلاثين أربعين كيلو تلاقينا راكنين الكارافان.. ابقى تعالى يا حاج.. بس ياريت تقول لنا إنت جاى إمتى.. عشان احتمال نأخذ البيت ونعزل فى أى حتة..

ولذا إذا هفتنى نفسى أشوف البت ح أجيبها ع الكمبيوتر اللاب توب، وأسألها فى حنان.. انتوا راكنين فين يا حبيبتى.. إحنا فى الصحراء الغربية يا جدو.. سأطلع أنا وجدتها على السطوح ناخد الطوربيد وطيران على الصحراء الغربية.. نشوف العيال ونبوسهم ونملى عنينا منهم، وكل هذه المشاعر بالطبع ستكون مشاعر قديمة يندهش لها أحفادنا، ويتساءلون.. لماذا يحبنا أجدادنا هكذا؟! عليهم عبط يا أخى!!

وإذا تعبت أمى الحاجة من المشوار لن أذهب بها إلى الطبيب ولن أرسل فى طلبه ليأتى ليكشف عليها، فأطباء القرن القادم يكشفون على مرضاهم وهم فى أماكنهم، يجرون العمليات الجراحية وهما عندهم.. بالقمر الصناعى.. ومع تقدم الطب الخرافى يقولون إن متوسط عمر الإنسان سيصل إلى ١٥٠ سنة، وهذا بالطبع سيغير من خريطة الطفولة والشباب، والشيخوخة التى اعتدنا عليها نحن فى قرننا البائس الماضى الذى عشناه.. فحفيدى الذى سيلقى حتفه وهو فى عامه المائة وعشرين سيقولون إنه اتخطف، وسيضحك حفيدى حتى يستلقى على قفاه حينما أقص عليه أننى ابتليت بالسكر والضغط وبلاوى الدنيا كلها وأنا فى الثلاثين..

وسترتفع سن المعاش من سن الستين إلى مائة وعشرين، وسيبكى حفيدى حينما يطلع على المعاش فى هذه السن وهو فى كامل صحته وعنفوانه، وطالما أن مساحة الحياة ستتسع هكذا، فلا أتصور أن أحدًا سيشغل وظيفة واحدة كما تعودنا نحن..

ففى الخمسين سنة الأولى من عمره المديد، سيعمل طبيبًا، ثم يعمل عشرين سنة أخرى كمهندس زراعى، وربما عمل محاميًا ثلاثين سنة أخرى، وبالتالى لا أعتقد أنه سيظل محتفظًا باسمه طوال هذه السنوات، مسألة سخيفة جدًا أن تنادونى يا يوسف.. لمدة ١٥٠ سنة، ولذا، أنا يوسف أول خمسين سنة، وبعدين عمر واحتمال وائل فى الآخر وأقفل على كده، الطمع وحش.. حناخد زماننا وزمن

غيرنا؟!

وفى ثورة المعلومات المهولة التى سيفتتح بها القرن الواحد والعشرين، ستصبح كل تفصيله صغيرة علمًا قائمًا بذاته، فلا معنى لأن تكون هناك كلية اسمها كلية الطب، والفميتو ثانية الزويلية تكشف كل شىء وتقترب أكثر وأكثر بعدسة زووم خرافية، لترى ما لم يره مخلوق على ظهر الأرض.. ستصبح هناك كلية متخصصة فى الودان.. وكلية الزور ومعهد البرد العالى وحديقة الحيوان بالجيزة ستنش، فالطفل القادم لن تجذبه جبلاية القرود، ولا الفيل ولا الأسد، سيذهب الأطفال إلى حديقة الفيروسات والخلايا والجزيئات ويوم العيد وعليكم خير العيال كلها بتلعب بالميكروسكوبات الليزرية، تتابع فى شقاوة حركة الجزيئات فى الخلايا.. عفاريت!!! ولن تصبح مسلسلات التليفزيون بهذا الطول ولا بهذا العرض، وأطول مسلسل لن يزيد على ١٥ ثانية، فالثانية كما تعلمون قسمها الدكتور زويل إلى ملايين الأجزاء، يبقى نقعد ونتفرج، يكفى أن يقول البطل للبطلة.. بحبك، أدى حلقة وسيتابع أحفادنا بشغف كل فيمتو ثانية من الكلمة، وستحصل المرأة فى القرن الجديد على كل حقوقها، وحقوقنا إحنا كمان..

ستعمل كثيرًا وتكسب كثيرًا وتستقل بنفسها وتكتب العيال باسمها.. وسينحصر دور الرجل فى الحياة فى العملية الكيميائية التى ليس له أى فضل فيها.. وسأحكى لأحفادى وأنا احتضر عن جدتهم

التى كانت تحضر لى الطعام بنفسها وتغسل لى هدومى، وهم فاغرى الأفواه.. مندهشين.. غير مصدقين لهذه التخاريف وهذا الهذيان الذى يصدر من رجل هرم مثلى، عاش الأيام السحيفة البدائية فى القرن العشرين.

أعزائى.. ربما ابتسمنا قليلاً ونحن نتخيل ما سيكون عليه القرن القادم، لكننى أؤكد لكم أن هذا المقال.. لو عاش خمسين سنة فقط.. وقرأه جيل ٢٠٥٠ لاعتبروه مقالاً مملاً خاليًا من الخيال وإنما رصد تقريرى للواقع، وليس به أى جديد.

الحرب الإعلامية الثالثة

تستطيع أن تعرف جنسية أى رجل عندما تقدمه إلى فتاة حسناء.. الإنجليزى سيصافح يد الفتاة، والفرنسى سيقبل يدها، والأمريكى سيطلب موعدًا معها، أما الصينى فسوف يرسل إلى بكين طالبًا التعليمات اللازمة بشأن ما يفعله مع الفتاة، أما إذا كان إسرائيليًا فسيؤكد لك أنه كان ماشى معاها قبل كده، وأنك أنت الذى علقتها منه، ويحكى أن يهوديًا عرف فتاة ألمانية وأقام علاقة معها وفى اليوم الأول ترك لها خمسين جنيها استرلينيًا تحت الوسادة.. فاندهشت الفتاة وقالت.. يهودى وكريم!! وفى اليوم الثانى ترك لها خمسين جنيهًا أخرى.. فصار الاندهاش إعجابًا وفى اليوم الثالث كانت خمسون جنيهًا جديدة تحت الوسادة.. هنا صار الإعجاب حبًا وافتتانًا به.. وبينما هى جالسة بجواره فى السرير فى اليوم الرابع قالت له بحب: هل تعلم أن عمتى تقيم فى تل أبيب عندكم.. أجاب اليهودى فى هدوء: فى الميدان الكبير بجوار السوبر ماركت.. وفوجئت الفتاة برده وسألته أنت تعرفها؟ قال اليهودى: إنها التى أرسلت لك المائتى جنيه.

والمجتمع اليهودى مجتمع لا يثق بنفسه، ولا يثق بأحد ولولانا نحن ـ العرب ـ لتداعى المجتمع الإسرائيلى وانهار من تلقاء نفسه، فالفأر الحبيس لا يصبح مفترسًا إلاَّ إذا شعر إنه مقضى عليه لا محالة.. أو أنه محاصر من كل الجهات.

واليوم ونحن نعيش الحرب (الإعلامية) الثالثة صارت المحطات الفضائية هى الدبابات والصواريخ والطائرات، ولكن للأسف كانت الضربة الإعلامية الأولى موجهة مننا وإلينا.

اشتم مصر تلتفت إليك الدنيا كلها، العنها.. اسخر منها.. ستصبح نجمًا.. ولكن يا عزيزى شئت ذلك أم أبيت.. هى أمك.. وأى واد صايع يستطيع أن يشتم أمه، بينما هو يشتم نفسه وهو لا يدرى.. لا زلت أذكر حينما كنا عيالاً فى المدرسة نتشاجر ونتشاتم.. كنا نقول فى البداية شرطنا الوحيد.. بلاش شتيمة الأب والأم.. فى فيلم "بين السماء والأرض" للراحل صلاح أبو سيف تعطل المصعد بين طابقين فى عمارة مكونة من ١٢ طابقًا.. ووضع صلاح أبو سيف المجتمع كله داخل المصعد بسلبياته.. بعيوبه.. بمتغيراته على أمل أن ينصلح المصعد ويخرج هؤلاء إلى الحياة وقد تعلموا الدرس.. ولكن اليوم كلنا خارج المصعد وشخص واحد داخل المصعد العطلان.. وصاحب العمارة يشق طريقه وسط زحام المتفرجين والسكان الذين احتشدوا فى ردهة العمارة، وينادى على الشخص المحبوس ويقول، لا تقلق سنخرجك سريعًا.. لقد أرسلت فى إحضار عامل إصلاح المصعد،

فيجيبه صوت متوتر من داخل المصعد يقول.. إننى عامل إصلاح المصعد، وعليه يا أعزائى سيظل المصعد معطلاً، وسنظل نحن نتفرج ونختلف ونتناقش وسيصرخ المذيع الفيلسوف مرتديًا بذلة صفراء على قميص لبنى إنها الحرب يا عرب.. الحرب.. أين الشجاعة أين النخوة؟ ونلتقى بعد الفاصل ويعود فى المساء إلى فيللته الأنيقة يعد فلوسه ويتساءل ح نسهر فين النهاردة، وإذا اعترضت على عباراته العنترية يتهمك بأنك تفتقد إلى الشجاعة، وما الشجاعة.. إنها صفة تتطلب الجمع بين نقيضين.. فهى تعنى رغبة قوية فى أن تعيش متخذة لنفسها صورة استعداد لأن تموت.. ولذا فنحن يجب أن نعيش أولاً.. نتكاتف.. نتحد.. نحب بعض.. لا نهدم الرموز.. ثم بعد ذلك نموت يا أخى.. ونشبع موت كمان.

سنة تلاتلاف!!

بعد الخلافات والاتهامات.. والاستجوابات بشأن احتفالنا بالألفية.. وبعد النجاح الساحق أو الفشل المروع للمخرج الفرنسى ميشيل جار.. وكم تكلفت الألفية.. وما الجدوى منها؟ وبعد الدخول فى مناقشات سفسطائية.. عبثية.. أتصور أننى وجدت الحل العملى الذى يخرس كل الألسن. أولاً.. عدم الاتفاق مع ميشيل جار لإخراج الألفية الثالثة بأى صورة من الصور، وإنهاء التعاقد معه الذى أعلم أنه ينتهى سنة ٤٠٠٠ ميلادية، ويصبح أمامنا حوالى ٩٩٩ سنة نرتب فيها للألفية ولا نتلهوج أو نتسربع.. ونختار الرجل المناسب فى المكان المناسب على رواقة.. ثانيًا ألاَّ نعطى المخرج القادم سنة ٣٠٠٠ أجره كاملاً حتى لا يضلعنا كما حدث، وإنما نعطيه له بالتقسيط المريح.. ياخد عربون النهاردة.. وننظم.. مع بعضينا.. ثم إننا بحسبة بسيطة.. إذا اتفقنا النهاردة مع المخرج اللى أكيد ح يكون فرنساوى أو إنجليزى أو أمريكانى.. إحنا الكسبانين.. ليه؟ الدولار النهاردة بأربعة جنيه

وربع.. على سنة ٣٠٠٠ يمكن الدولار يكون وصل ساعتها ٤ مليون جنيه، شفتوا الفرق.. أهو كل ده فى جيبنا إحنا، مشكلتنا يا أعزائى.. إننا جميعًا ننظر تحت أقدامنا ولا نقدر أى قيمة للوقت، إذا أردت أن التقى بأى ممثلة فى أوروبا.. يرد عليا وكيل أعمالها بكل جدية ويقول لى.. بعد سنة ونصف الساعة ٤ وتلت فى روما.. بينما نحن ننقض على بعضنا البعض فى أى وقت، وفى أى مكان.. وبمجرد ما أن يرن المحمول، أنت فين؟.. ثم بعدها علطول وبلا مقدمات.. أنا جاى لك.. هكذا بدون موعد سابق.. ولا أى اعتبار لأى شىء.

وفى واشنطن تراهن فلاحان أمريكيان فى سنة ١٩٣٢ حول متانة بناء الكابيتول.. وقال أحدهما إن هذا البناء لن يعيش أكثر من خمسميت سنة.. وكان الرهان قدره دولار وفعل زميله مثله.. وأودع الدولاران بفوائد مركبة فى أحد البنوك المحلية.. على أن يسلم المبالغ إلى ورثة الفائز سنة ٢٤٣٢.. وسيقبض الورثة الفائزون فى هذه السنة ١٠٠٠ مليون دولار وآدى السنين عدت وكلها ٤٣٠ سنة ويقبضوا والبليه تلعب معاهم، وبعد كل ذلك تسألنى لماذا هم أغنياء؟ لأنهم ينظرون إلى المستقبل وكأنهم يعيشون أبدًا، دائمًا نحن ليس على أفواهنا سوى.. يا هنا من يعيش.. ياللا حسن الختام.. ياما أكلنا وياما شربنا.

كان القاضى فى إحدى محاكم النمسا يسأل متهمًا.. هل لك إخوة؟ فأجاب المتهم كان لى أخ يا سيدى ولكنه توفى.. منذ ١٤٠ عامًا.. فدهش القاضى وقال.. أخ توفى من ١٤٠ سنة إزاى؟! فقال المتهم

تزوج أبى وله من العمر ١٩ سنة.. فرزق ولدًا عاش بضعة أيام ومات.. ثم تزوج أبى بعد خمسين سنة فولدت أنا.. وأنا عمرى ٨٥ سنة الآن.. وعليه فقد توفى أخى منذ قرن ونصف تقريبًا.. وهكذا يا أعزائى.. إن النخيل لا يراه من يزرعه.. ولكن يراه أبناؤه وأحفاده وهؤلاء الأبناء والأحفاد هم أيضًا يجب أن يزرعوا نخلاً، ولا يرونه لكى تستمر الحياة.. لا يجب أن نفعل بأعمارنا مثل التتار.. نحرق البلاد التى نمر عليها.

المحتويات

الإهداء	٧
صوت الشعب	٩
فقرى.. فقرى.. فقرى	١٤
بلد رائع.. رائع	١٨
وآه يا كوفى من آخر المشوار	٢٢
أنا كنت باقول إيه!!	٢٥
الفانوس السحرى	٢٨
وطى صوتك.. أنت فى مارينا	٣٢
فيش على مفيش	٣٦
فيكس كادر (مشهد ثابت)	٤٠
وكم ذا بمصر.. للطيران	٤٣
إلخ، إلخ، إلخ	٤٧

الوصفة السحرية للتفاهة العصرية	٥٠
أثـــَّر ولـمّ المتكسر	٥٥
المقال التانى	٥٩
خلف خلاف	٦٤
شمر كُـمَّـك، وكلِّـمْــنِى	٦٦
أوعى حد يجرجرك	٧٠
دعونا نكره فى صمت	٧٣
محدش فاهم فهمى	٧٨
غلطة، ومش ندمان عليها!	٨٢
الكلامو عليكم!	٩٠
النق، والنقد، والنكد الفنى	٩٥
فأر وعنطزة	٩٩
سألونى كتير	١٠٣
اعترف لكم: أنا أسرق رواياتى	١٠٦
إذًا: صحيح	١١٠
فى الأسفار والمسيار	١١٣
أهلين!!	١١٩

ألفين، على فين؟!	١٢٤
ألفين أهلين	١٣٠
الحرب الإعلامية التالتة	١٣٥
سنة تلاتلاف!!	١٣٨